الثورة العرابية

خلاصة تاريخها ومكانها من النهضة القومية المصرية

فخري أبو السعود

١٩٣٠

مطبعة الفتوح لصاحبها علي نظامي بقنطرة عمر شاه بالسيدة زينب

فهرس

تطور القومية المصرية

الطور القديم

عمل خصب وادى النيل وذكاء سكانه على ظهور حضارة عظيمة بمصر وقيام دولة عتيدة بها فى العصور الاولى ، ودامت الدولة المصرية اربعين قرنا قامت فى أثنائها امم وبادت ونهضت دول ثم دالت

فى ذلك العهد البعيد كان المصريون اشد ما تكون امة شعورا بقوميتها ومحافظة على سيادتها ، بل لقد غالوا فى ذلك بدافع عقائدهم الدينية : فاعتقدوا ان الامة المصرية قد اصطفتها الآلهة دون الامم وخصتها بالعلم والحكمة ، وكان حب المصريين لوطنهم فوق حبهم لاى شىء آخر

الطور المتوسط

ثم هرمت الدولة فى آخر فى امرها وطمعت فيها الامم الناهضة : فغزاها النوبيون فالاشوريون فالفرس ،

ولكن المصريين كانوا يأبون الخضوع الاجنبي، فدافعوا الغازين ما استطاعوا وثاروا على الغاصبين مرارا واخرجوهم من بلادهم، ولكن مصر ظلت مطمح كل امة ناهضة لما ذاع من صيتها وحضارتها ولموقعها الفريد، فتتابعت عليها الغارات، وسقطت البلاد عياء وسط ذلك النضال، فاستولى عليها اليونان ثم خلفهم فيها الرومان الذين حكموها حكما صارما فظيعا، وفي عهدهم فقدت مصر قوام حضارتها وعماد مدنيتها الا وهو ديانتها القديمة كما بدات لغتها القديمة تمحى وبالجملة كان العهد الروماني قاضيا على كل مميزات الدولة القديمة وفاصلا بين الطور الاول المجيد من اطوار القومية المصرية والطور التالي الذي ضعفت فيه هذه القومية وتلاشت وانهكت البلاد الفتن الدينية في الصراع الذي دار بين الديانه المصريه القديمة وبين النصرانية ثم بين مذاهب النصرانيه المختلفة والثورات المتتابعة على الحكم الروماني، وغرقت البلاد في ظلمات الجهل وتعاورتها ضروب الظلم وسوء الحكم، ولم يعد لها من القوة او الارادة ما تستطيع به نزع الحكم الاجنبي فلم تعد تخلص

من غاصب الا على يد غاصب : فجاء بعد الرومان العرب والدول التي استقلت بمصر عنهم ثم تلاهم الترك ، وسلخت البلاد تحت حكم الاجنبي اثنين وعشرين قرنا من القرن الرابع قبل الميلاد الى القرن الثامن عشر بعده

في هذا الطور لم يكن للقومية المصرية وجود : نعم حافظ حكام مصر على وحدتها بفضل سهولة ارضها وتحدد تخومها بالبحار الصحارى ، ونعم كانت مصر مستقلة فى عهود كثيرة اثناء هذا الطور ممتازة بين جاراتها بعلومها وآدابها وفنونها ورخائها ، ولكن المصريين كانوا فاقدين كل معاني القومية وما يتبعها من مظاهر السيادة : فلم يكونوا يشعرون بوجودهم على انهم امة واحدة محسة بشخصاتها بل كانوا فى عهد الرومان جزءا من ذلك الكل الرومانى المسيحي المسيطر على حوض البحر الابيض ، ثم كانوا فى عهد العرب والاتراك والمماليك بضعة من العالم الاسلامي العربي الذى يدين بالاسلام وينطق بالضاد ، فلم يكونوا يعدون انفسهم « مصريين » بل « مسلمين » او « اولاد

عرب »، ولم يكن المصرى يعرف لنفسه وطنا ابعد من بلدته ومن انتقل الى بلدة اخرى عد « متغربا » ولم تكن الاسرة المالكة من المصريين قط اثناء هذا الطور ولا كان منهم رجال الحكومة ولا الجيش المدافع عن البلاد، وخمدت فيهم نزعة الحكم وروح الحرب، واعتادوا ان يكونوا رعية منقادة لحكامها منصرفة لاعمالها

وقد كان للدين فى المصريين على مختلف العصور اكبر منزلة وابعد اثر، وكما كان في عهد الفراعنه اكبر اركان القوميه المصرية لتفرد المصريين بديانتهم في ذلك العهد اصبح فيما بعد سببا فى خمود الوطنية المصرية وانغمار المصريين في ابناء عقيدتهم من مسيحيين ثم مسلمين، وكما كانت العصبيه الدينية لا الحمية الوطنية سبب قيام المصريين فى وجه الحملة الفرنسية كما سياتي كان اتحاد الديانة اكبر اسباب صبر المصريين على حكم الاتراك والشراكسه

هذا وليس مرور مثل ذلك الطور بالامة مما يشنيها او يصمها بالخنوع والجهل بنعمة الحرية : فان كل امة اذا

اصطلحت عليها العوامل الجغرافية والتاريخيه التى اصطلحت على مصر قمينة ان تخضع لما خضعت له مصر من انتكاس وتدهور، ولا عبرة كذلك باستطالة هذا العهد متى زلقت اليه البلاد، وها هما قرتنتا مصر فى مضمار المدنية القديمة ايطاليا واليونان قد وقعتا منذ غربت عنهما شمس الحضارة فريسة للمتبربرين وانصاف المتحضرين من قوط ووندال وجرمان واتراك، وظلتا طوال العصور نهبة المطامع والمظالم ولم تتنشقا نسيم الحرية والقومية الا فى الوقت الذى بدأت مصر تتنسمه فيه، اى فى اوائل القرن التاسع عشر

الطور الحديث

وفى اواخر القرن الثامن عشر جاءت الى مصر الحملة كافرنسية فكان لها اثر كبير فى احياء القومية المصرية: اذ الفت مدتها عهد مشادة وصراع بين قوى مختلفة هز البلاد من اعماقها واخرجها من الظلام والخمول الذى غشيها قرونا: فقد قاوم المصريون الفرنسيين طول زمن اقامتهم بالبلاد،

وقضى الفرنسيون على قوة المماليك الذين استبدوا بحكم مصر اجيالا واظهروا عجز اولئك المماليك امام المصريين وفى عهدهم اشترك المصريون فى ادارة شئون البلاد بعد ان كانوا بمعزل عن جميع المناصب : اذ اصبح الديوان وهو الهيئة الشورية يتالف منهم بعد ان كان وقفا على البكوات والمماليك ، واستيقظ المصريون من سباتهم وخرجوا من عزلتهم وتنبهوا الى مدنية اوربا الحديثه ، وجعلهم كل ذلك يحسون بوجودهم بعد ان لم يكن لهم اعتبار ويشعرون بامكان اعتمادهم على انفسهم فى ادارة شئون بلادهم ، وجعلهم يفرقون بين حكم وحكم ويعملون للحصول على الحكم الافضل ويثورون على الظلم ، كما ان تتابع الحروب والثورات فى عهد الحملة وعقب خروجها انهك قوى البلاد الاقتصادية فاصبح الشعب فى حالة من الضيق تحفزه الى الثورة والتمرد على كل ظلم جديد

فلما عاد الترك والمماليك بعد الفرنسيين يفرضون على المصريين استبدادهم ثار عليهم الشعب سنة ١٨٠٥ وكان



بعض زعماء ثورة سنة ١٨٠٥

الشيخ المهدى	الشيخ الشرقاوى
الشيخ الفيومى	الشيخ السادات

زعماء الحركة اذ ذاك طائفة من العلماء الذين كانوا هم الطبقة الممتازة من المصريين فى عهد المماليك نظرا لمقامهم الدينى وعلمهم النسبى وكان يتالف منهم الديوان فى عهد الفرنسيين على ان الشعب وزعماءه العلماء لم تكن لهم بعد القوة والخبرة اللازمتان لحكم البلاد ، فكان لا بد لهم من اختيار من تتوفر فيه هاتان الصفتان مع صفتى العدل والاصلاح ولو كان غير مصرى ، ولم يلبثوا ان وقع اختيارهم على محمد على الذى كان دائبا يتقرب الى المصريين ، ويندد باعمال الترك والمماليك ، فقرر الزعماء خلع الوالى التركي وتولية محمد على مكانه ، فكان عزل المصريين للحاكم واستبدالهم به من يرضون عنه مظهرا رائعا للقومية المصرية الناهضة

ولما تولى محمد على كانت اعماله متممة لما بدأت الحملة الفرنسية : اذ نظم الحكومة وجعلها مركزية ، ونشر الامن والنظام وانهض الزراعة والصناعه والتجارة مما زاد ثروة البلاد ، وأنشا جيشا من ابناء البلاد بعثت أنتصاراته الروح القومي والفخر الوطنى واكسبت البلاد استقلالا داخليا

تاما وحمتها من العودة الى فوضي الحكم التركى بعد محمد على وأباد محمد على المماليك الذين كانوا يكونون طبقة حاكمة مستبدة واحل محلهم المصريين فى كثير من المناصب، ونشر التعليم وبعث البعوث العلمية الى وربا فسرى التنور فى البلاد ونشات طبقة جديدة متعلمة مطلعة على احوال البلاد الاوربية الراقية ذات عقلية جديدة لا ريب انها كانت تنزع الى مثل الحرية والاستقلال والرقى التي شهدتها فى بلاد الغرب

علي انه مهما يكن مبلغ شعور المصريين اذذاك بقوميتهم ومهما يكن قد خالج نفوسهم من آمال فى الحرية والاستقلال ومهما يكن مقدار ذيوع هذه الافكار فقد ظلت هذه الاماني صامتة لا تجترىء على الظهور ازاء جبروت الحكام الذين كان معظمهم اتراكا وشراكسة وكانوا يابون الا ان يفرضوا سلطتهم مطلقة ولا يقبلون من المحكومين اعتراضا حتى كان عهد اسماعيل فتطورت القومية المصرية تطورا يشبه الطفرة: فقد جري فى عهده من ضروب الاصلاح

وادخال اسباب الحضارة الغربية ما بعث النشاط والتقدم فى جميع مرافق الحياة من اقتصادية وعلمية ، غير ان ضرائب اسماعيل المرهقة وحروبه المتتابعة ومظالم عماله الاتراك والشراكسه القت البلاد فى اشد حالات الفقر والبؤس وبعث فى المصريين كل اسباب السخط والتذمر ، كما ان ديونه الباهظة ادت الى تدخل انجلترا وفرنسا فى شئون مصر تدخلا أحفظ المصريين واستثار حميتهم الوطنية ، هذا الى تاثير احتكاك المصريين بالاوربيين الذين تكاثر عددهم بمصر فى عهد اسماعيل

لذلك هب المصريون يعملون على احلال الحكم النيابى محل حكم اسماعيل الفردى ليتمكنوا بانفسهم من اصلاح الاحوال الداخلية وكف التدخل الاجنبي والتعجيل بسداد الدين ، وكان زعماء هذه الحركة الدستورية الاعيان والعلماء والضباط ، واستطاع المصريون ان يستخلصوا من الخديو دستورا صحيحا وان يوطدوا بانفسهم الحكم النيابي فى مصر لاول مره واخذت النظارات الدستورية ومجلس النواب تنفذ

الاصلاحات المحتاجة اليها البلاد

هنالك بلغت القومية المصرية اجلى مظاهرها: فقضت على سلطة الفرد، وانتصرت على العنصر التركى الشركسى الذى اخمدها طويلا وحسرت لجة التدخل الاوربي واستشرفت للرقى واستعادة ماضيها المجيد

وكان نجاحها محققا لولا المطامع الاستعمارية : فان انجلترا وفرنسا لم تقصدا بتدخلهما فى شئون مصر مجرد المحافظة على ديون رعاياهما وانما كانت الديون ذريعة تذرعت بها كل منهما للتدخل و بسط يدها على ادارة البلاد تدريجا فاشفقتا من ظهور الحركة الوطنيه التى قضت على نفوذهما وشرعت فى الاصلاح الذى كانت نتيجته المحتمة نهوض البلاد واشتداد ساعدها واستحالة وقوعها فى قبضة الاستعمار

لذلك بادرت انجلترا وفرنسا بمناصبة مجلس النواب المصرى العداء، وابتا الاعتراف بالنظارات الدستورية، ولما يئسنا من امكان ارهاب المصريين وحملهم على قبول التدخل السلمي عمدتا الى التدخل الحربى ، ثم نكصت فرنسا



مصطفى كامل باشا

زعيم الوطنية في عهد الاحتلال

وتقدمت انجلترا فهزمت الجيش المصرى وضربت الوطنية المصرية الناهضة ضربة قاصمه

دافع المصريون عن حريتهم بحد السيف ، فلما كانت الهزيمة وكان الاحتلال الانجليزى دخلت القومية المصرية فى عهد جديد من عهود جهادها : عهد المطالبة السلمية بالحقوق ، والاحتجاج ، ومناوأة الحكومة التي اصبحت انجليزية قلبا وقالبا والتنديد باعمالها المنافيه لمصالح البلاد ، وكان لسان الامة الناطق فى ذلك كله ممثليها فى الجمعيات الشورية وزعماءها وخطباءها وصحافتها ، وقد أدوا جميعا واجبهم خير أداء : فسجلوا حقوق البلاد واعلنوها فى وجه المستعمرين واوقفوهم عند حدهم ، ونشروا الدعوة المصرية والمطالب المصرية فى الخارج ، واستبقوا وطنية المصريين وتمسكهم بحقوقهم وزاد وهما تاصلا فى النفوس وذيوعا فى البلاد

فلما بسط الانجليز حمايتهم على مصر فى زمن الحرب الكبرى زادوا المصريين سخطا واستياء اذ كانت تلك

خطوة كبيرة فى سبيل ضم البلاد الى الاملاك الانجليزية جملة ، وبسطوا معها الاحكام العرفية وخلعوا الخديو الذى كان يناوئهم ويأنف من سيادتهم – خامته الدولة التى اتت لتثبيت عرش الخديو – وهموا بخلع الاسرة العلوية جملة وارهقوا البلاد فى حروبهم يجندون ابناءها وينتهبون محصولاتها ومواشيها ، حتى جاشت البلاد بالاستياء العام ثم انجلت الحرب عن مبادىء جديدة انعشت آمال المصريين فقاموا يطلبون حقوقهم فى الاستقلال والدستور ، وانفجرت ثورة سنة ١٩١٩ فكانت مظهرا آخر باهرا من مظاهر القومية المصرية الحية ، وصدمت الغطرسة الانجليزية صدمة عنيفة ضعضعت ادعاءاتها العريضه

ومنذ ذلك العام نضجت مصر نضجا سياسيا تاما : فاصبح المصريون جميعا محسين تمام الاحساس بقوميتهم حريصين على حرية بلادهم ساعين الى ترقيتها مستعدين لتضحيه نفوسهم فى سبيلها ، ونالت البلاد دستورها وان لم تنل بعد استقلالها كاملا ، واصبح المصريون قادرين على

ان يحكموا انفسهم بانفسهم ، وبذلك ذهب عهد الاحتجاج والتمرد الذي كان الحزب الوطني رافع لوائه ، ودخلت القومية المصرية فى عهدها الاخير عهد ادارة حكومة البلاد بايد مصرية ونظام دستورى والسير بها فى سبيل الرقى واستكمال حقوقها ، وانتقلت قيادة الحركة الوطنية الى يد الوفد ممثل الامة وصاحب الاغلبيه العظمي

مطامع انجلترا فى مصر

المحاولات الاولى

بدات النهضة القومية الحديثة فى مصر كما تقدم فى عهد الحملة الفرنسيه في مستهل القرن التاسع عشر، وقد كان من سوء حظ مصر ان مطامع انجلترا فى هذه البلاد بدات فى ذلك الوقت نفسه، فظلت القومية المصرية تنمو وتترعرع طوال القرن الماضى تحت عين الاستعمار البريطاني الفظيع

نبهت الحملة الفرنسيه انجلترا الى مركز مصر الخطير على طريق الهند وغيرهامن المستعمرات الانجليزية الشرقيه ومنذ ذلك الوقت عدت انجلترا مصر جزءا لا غنى عنه للامبراطوريه البريطانيه

لذلك سعت سعيا حثيثا لاخراج المصريين من مصر فحطمت اسطولهم فى بوقير، وقطعت اتصالهم بفرنسا، وصدتهم عن عكاء، والبت عليهم الترك فاتوا عليهم

الجحافل ، فلما رأت عجز الترك عن اخراجهم اشتركت بجيوشها فى القتال وارغمت الفرنسيين على العودة من حيث اتوا

ولم يكن غرض انجلترا طرد الفرنسيين من مصر فقط بل الحلول محلهم ، فظلت جيوشها فى مصر بدعوى المحافظه على الامن العام ، حتى عقد صلح اميان سنه ١٨٠٢ بينها وبين نابليون ، وكان من شروطه تخلى الفريقين عن مصر ، فماطلت انجلترا وتلكأت ، ولكنها اضطرت ازاء الحاح نابليون الى الجلاء

فسعت فى استمالة تركيا ليكون لها النفوذ الاول فى مصر ، ولكن نابليون ما لبث ان كسب تركيا لجانبه ، فعملت انجلترا على اتخاذ المماليك صنائع لها تشملهم بحمايتها وتعيد لهم السلطه التي كانت تركيا تعمل على انتزاعها منهم فى ذلك الوقت ، فالفت لها حزبا منهم بزعامة الالفي بك الذى سافر مع الجيش الانجليزى الى انجلترا ليتلقى التعليمات من حكومتها

ولكن الامر خرج من يد المماليك والترك معا بظهور محمد على الذى رفعه صوت الشعب الى منصب الحكم ، قسعت أنجلترا سعيها لدى تركيا لابعاد محمد على عن مصر بتقليده منصبا آخر فذهبت مساعيها هباء

فرأت اخيرا ان تستولى على البلاد بنفسها كما طردت الفرنسيين منها بنفسها ، فارسلت عليها سنة ١٨٠٧ حملة استولت على الاسكندريه ثم سارت قوة منها لاخذ رشيد ففتكت بها حاميتها ، فارسلت قوة اخرى للانتقام للاولى فالتقى بها جيش ارسله محمد على وجمع من الاهالى قرب رشيد فهزموها شر هزيمة ، وكانت الحرب بين انجلترا وفرنسا قد عادت اشد مما كانت عليه ووقفت انجلترا وحدها امام نابليون بعد تخلى احلافها عنها ، فعولت على اخلاء مصر بعد الهزائم التى حاقت بها فيها وارجاء تنفيذ مطامعها فيها الى فرصه اخرى

مطامح محمد على

ولم تكد انجلترا تفرغ من امر نابليون حتي كان محمد

على قد نهض بمصر نهوضه السريع واحالها فى بضع سنين
من ولاية مستضعفة الى دولة عظمى وضم اليها السودان
وكانت لانجلترا فوق مطامعها فى مصر مطامع فى السودان
بل فى كل جهات افريقيه الغنية بنباتاتها وحيواناتها : اذ
كانت فى ذلك الوقت قد سبقت الدول الى الطور الصناعي
واصبحت فى حاجة كبيرة الى الغلات الخام لتغذية مصانعها
لذلك ولغيره من الاسباب صممت انجلترا على خضد
شوكة محمد على : فحطمت اسطوله فى نوارين سنة ١٨٢٦ ،
ولما كانت حكومته قائمة على اساس احتكار حاصلات البلاد
عقدت مع تركيا معاهدة تجارية سنة ١٨٣٣ تنص على منع
الاحتكار فى الاراضى العثمانية ، ولما انتزع محمد على الشام
من تركيا بينما كانت انجلترا مشغولة بمشاكلها الداخلية
والخارجية فى غرب اوربا راح قناصلها فى الشام يبذرون
بذور الفتنة ضد حكم محمد على ولم تلبث انجلترا بعد ان
فرغت من مشاكلها ان حرضت تركيا على محمد على حتى
اعلنت عليه الحرب سنة ١٨٣٩ ، ومع ان النصر كان فى

جانبه ابت انجلترا ان يحل النزاع بين الوالى والسلطان وجعلته مسالة دولية والفت على محمد على حلفا كالاحلاف التي كانت تؤلفها على نابليون ، وانزلت الجيوش المتحدة فى الشام لاخراج الجيش المصرى ، وارغم محمد على على الانزواء فى مصر بعد ان تضعضعت قواه

وقد كان محمد على طول مدة حكمه يبغي محالفة انجلترا ولكنها تأبت ، ولما اراد اعلان استقلاله عن تركيا عارضت بل كانت تريد خلعه من مصر جملة لولا ممانعة الدول التى كانت تعتبره بطلا وتعجب ببطولته

بعد عهد محمد على

وبعد ان تم لانجلترا اضعاف مصر ظلت تترقب الفرص للاستيلاء عليها ، ولم تغفل عنها وعن مصالحها فيها يوما

ففى عهد عباس مد اجابة لرغبتها خط حديدى بين الاسكندرية والقاهرة لتسهيل نقل التجارة الهندية

وفي عهد سعيد ، حين ظهر مشروع حفر قناة بين البحرين الابيض والاحمر على يد شركة فرنسية عارضت انجلترا وسعت بقوتها لدى تركيا لاحباط المشروع الذى رات انه يرجح نفوذ فرنسا على نفوذها فى مصر ويجعلها اقرب الهند منها ، فلما نجح المشروع برغم معارضتها وشقت قناة السويس زادت اهمية مصر فى نظر انجلترا وزادت انجلترا حرصا على الاستيلاء عليها

وكانت الفرصة التى تتراءى في المستقبل امام انجلترا للاستيلاء على مصر هى يوم تقسيم الدولة العثمانية ، غير ان انجلترا والدول كانت تخشى ذلك اليوم بقدر ما ترجوه لخوفها من ان يثير بينها حربا عامة

فلما تولى اسماعيل فتح باب فرص التدخل فى مصر على مصراعيه امام انجلترا : لما اقسم به حكمه من التسرع وقصر النظر وما امتلا به من الاغلاط الكبيرة التى مست مستقبل البلاد : فقد اسرف اسماعيل فى الاستدانة من مصارف انجلترا خاصه ومصارف غيرها من الدول الاوربيه

عامه حتى اثقل كاهل البلاد بدين فادح ، واستكثر من الاجانب ولا سيما الانجليز فى الحكومة وجعل يقلدهم اجل المراكز خطرا كحكومة السودان وقيادة الجيش ، ومكن للاجانب وللمصالح الاجنبية حتى تغلغلت فى البلاد ، وباع لانجلترا حصة مصر فى قناة السويس

فلم تتوان انجلترا التى تجيد انتهاز الفرص فى التذرع بديون رعاياها ومصالحها في مصر للاشراف على المالية المصرية ، موقنة ان هذا الاشراف مؤديها اخيرا الى الهيمنة على الحكومة المصرية كلها ،

الاحتلال

كانت انجلترا اذن تريد التدخل السلمى شيئا فشيئا حتى تقبض على كل شيء ، ولكن ما راعها الا الحركة الوطنية تقاوم هذا التدخل ، فلجات الى التدخل الحربي ، ولم تتورع عن خنق هذه الوطنية وقتل الحرية فى مصر فى سبيل مطامعها الاشعبيه

ولما تم لانجلترا احتلال مصر التفتت الى السودان، وكان يجيش بثورة المهدى التى يرجع اكبر اسبابها الى محاربة تجارة الرقيق التى اشارت بها انجلترا على اسماعيل وقام بها القائدان الانجليزيان صمويل بيكر وغردون اللذان توليا حكم السودان وهو خاضع هادىء وغادراه يتحفز للثورة. وكانت حكومة السودان قداسندت بعدهما الى حاكم قوى هو عبد القادر حلمي باشا فانزل الهزائم المتوالية بالمهديين ورد سيلهم والقى الرعب فى قلوبهم فاجبرت انجلترا مصر على استدعائه واخلاء السودان لتعود فتفتحه معها، ولما اعيد فتحه بعد قليل بسواعد الجنود المصرية جعل حكمه اشتراكا فى الاسم وانفراديا انجليزيا فى الواقع، فكان الدور الذى لعبته انجلترا لاغتصاب السودان من مصر من افظع الاعيب السياسة الاستعمارية

وما استهل القرن العشرون حتي اخترعت الطيارات وارتقي الطيران، فظهرت لمصر اهمية جديدة فى نظر الامبراطورية البريطانية : لان مصر بموقعها المتوسط وجوها

الصافي من اهم مراكز الطيران ، فزادت انجلترا حرصا على مركزها فى مصر الذى سعت اليه طويلا وظفرت به اخيرا

واليوم

هذا هو تاريخ المطامع الانجليزية فى مصر : تنطق حوادثه بالحقائق ويدل تتابعها على مقاصد انجلترا بحيث لا يحتاج سردها الى تدليل او تعقيب ، ولن تجد في غير الانجليز مؤرخين لهم من الجرأة على امتهان الحقائق والعقول مايسول لهم جحود هذه الشواهد وانكار هذه الحقائق فمؤرخو الانجليز وحدهم هم الذين تلين فى ايديهم الحوادث وتتشكل الحقائق كما يريدون حتى تري كتبهم اقرب الى التاليف القصصى منها الى التاليف التاريخي وتراهم يصورون انجلترا — كما صورها كرومر فى « مصره الحديثه » — صورة الفاره من احتلال مصر فرار السليم من الاجرب المتخلصة منه باى ثمن ممكن ، كأن احتلال مصر عبء ثقيل لا

يرغب فى الاضطلاع به احد وكأن الاستيلاء عليها ليس فيه لانجلترا فائدة تذكر

على ان اعتداء انجلترا الذى البسته ثوب اصلاح اضطرتها الظروف الى الاضطلاع به فى مصر ، ودعاويها العريضة – من ان المصريين لايستطيعون حكم انفسهم وانهم يلزمهم اجيال ليتشربوا الحضارة التى يغرسها الاحتلال فى بلادهم ، وانهم راضون عن احتلال مغتبطون به – ووعدوها الزائفة بالجلاء التى منحتها ثم ماطلت فيها ثم استردتها ، كل ذلك البناء الواهي من التمويه والبهتان الذى تعاقب على اقامته وتدعيمه ساسة الانجليز فى الجيل الماضي مالبث ان انهار امام مجهود الامة المصرية الرائع الذى ابدته فى هبة واحدة سنة ١٩١٩ ، وذابت امام حرارة لوطنية المصرية ادعاءات انجلترا وتبجحها العديم النظير : فاعلنت بطلان الحماية ، ثم سلمت بصلاحية المصريين لحكم انفسهم وبجدارتهم بالحكم الدستورى ، واعترفت اخيرا بعدم احتياج الاجانب فى مصر الى حمايتها ، وابدت صراحة انها

لا يعنيها فى مصر الا مصالح لها خاصة هي هى التى من اجلها
اعتدت على مصر اعتداءها ، وحتي هذه لا تستطيع تسويغها
الا بمنطق القوة وبرهان الامر الواقع .

أسباب الثورة

Social & Pol.

ترجع الثوره العرابيـة الى سببين رئيسين هما: سوء حالة البلاد فى اواخر عهد اسماعيل، والنهضة الفكرية التى قامت بمصر اذ ذاك والتى جعلت الناس يشعرون بسوء الحال ويعملون على الاصلاح

سوء حالة البلاد فى اواخر عهد اسماعيل

كانت البلاد تشكو فى ذلك العهد من ثلاثة امور جوهرية هي: فساد النظام الادارى، والارتباك المالى والتدخل الاجنبي

econ. Pol.

فساد النظام الادارى:

ارتقى اسماعيل عرش مصر سنة ١٨٦٣ وحكم البلاد كاسلافه حكما مطلقا. فكان يصدر اوامره الى المفتشين العامين، وهؤلاء يصدرونها للمديرين، وهؤلاء الى مشايخ البلاد، وكانت الاوامر شفوية لا يراعى فيها

قانون ولا تراعي مصلحة المحكومين، ولما كان اسماعيل قصير النظر شديد التسرع فى كل اعماله فقد جر هذا الحكم الفردي على البلاد ويلات كثيرة

واعاد اسماعيل الى الحكم طبقة الاتراك والشراكسه من مماليك الاسرة العلوية وابناء مماليكها، تلك الطبقة التي كان سعيد قد استبدل بها المصريين فى مناصب الحكم والجيش، وكان هؤلاء الشراكسة قوما باغين يحتقرون الفلاحين ويذلونهم فتفاقمت شرورهم: ففي الادارة راحوا يستعملون السياط فى فرض مظالمهم وجمع الضرائب وسوق الناس الى السخرة والتجنيد، وفى الجيش استأثروا بالمناصب الكبيرة واضطهدوا الضباط المصريين وجعلوا يرمونهم بالتهم الباطلة ليفصلوهم ويجعلوا مكانهم ابناء جلدتهم ويسخرون الجنود فى الاشغال الشاقة، وقد ادت قلة كفاءتهم وتنازعهم مع القواد الاجانب فى الجيش الى الهزائم الفادحة التى نزلت بالجيش المصرى فى الحبشة مما اسخط الضباط والجنود المصريين، وبلغ الامر باولئك

Circassian policy = the army ← Cadet reasons.

الشراكسة انهم كانوا يفكرون فى ذلك الوقت فى احياء دولة المماليك بمصر ، وكانت محاولتهم الاستئثار بالجيش اول خطاهم فى هذا السبيل

ولم يكن من الممكن ان يلجا الناس من ظلم الحكام الى عدل القضاء : فقد كانت المحاكم ذاتها موبوءة بالفساد وكان للادارة فيها اكبر نفوذ

فكانت النفوس مملوءة سخطا لاستبداد الهيئة الحاكمة ولكن لم يكن احد يجترىء على الجهر بالاحتجاج او الشكوى : لان اولئك الحكام كانوا يعتبرون طاعتهم فرضا على الاهالى مهما تمادوا فى ظلمهم ، فلم تكن تاخذهم فى شان من يعارضهم هوادة ، بل كان جزاؤه الاغتيال او النفى او المصادرة

الارتباك المالى :

كانت مصر قبل تولى اسماعيل فى رخاء عظيم ، ولكن اسماعيل كان مبذرا شديد التبذير فلم يراع ايراد البلاد الذي لم يتجاوز فى عهده ٨ ملايين من الجنيهات بل راح يقترض

من الماليين الاوربيين اكبر المبالغ باعظم الارباح واقسى الشروط حتى بلغت ديونه ٩٥ مليونا من الجنيهات وحتي عجز عن سداد فوائد الديون وامتنع الماليون عن اقراضه شيئا جديدا وفضلا عن ذلك رفع اسماعيل ضرائب الارض الى اربعة امثال ما كانت عليه فى عهد سلفه ، واستولى بوسائل القهر والارهاق على خمس الاراضي الزراعية ليديره بنفسه فسرى الفساد والعجز الى هذه الاراضى التى استولى عليها ، واستمر طول حكمه يبتدع انواع الضرائب والمغارم ويجمع الضرائب مقدما وفي غير ميعاد وبلا نظام حتى املق الفلاحون واتربوا وباعوا مقتنياتهم وبلغت ديونهم التى استعاروها من المرابين اليونان لسداد مغارمه واتقاء مظالم عماله ٢٠ مليونا من الجنيهات ، وعم البؤس والفقر فى الاقاليم

وكان كبار الملاك يشاركون صغار الفلاحين فى تحمل عبء الضائقة المالية فقد اجبرهم اسماعيل على اقراض الحكومة مبالغ طائلة لم يرد لهم منها شيء

واخيرا عجزت الحكومة ايضا عن دفع مرتبات الموظفين والجنود، وتعطلت اعمالها واهملت مرافق البلاد

التدخل الاجنبي :

امدت انجلترا وفرنسا لاسماعيل فى الاستدانة وامهلتاه حتى بلغ الخاتمة المحتومة، فلما صار على شفا الافلاس اقبلتا تمدان اليه يد المساعده على ان تبسطا حمايتهما عليه وتفرضا اشرافهما على المالية المصرية

وقد بدأ هذا الاشراف سنة ١٨٧٥ بسلسلة اللجان التحقيقية الانجلزية والفرنسية التى كانت نتيجتها انشاء المراقبة المالية الثنائيه المؤلفة من مراقب انجليزى للايرادات المصرية وآخر للمصروفات، ثم تاليف نظارة غير مسئولة امام الخديو سنة ١٨٧٨ برياسة نوبار باشا الانجليزي الميول وعضوية ناظر انجليزي للمالية وآخر فرنسى للاشغال، وبدا انتقلت السلطة المطلقة من اسماعيل الى الاوربيين او بالاحرى الانجليز

Dual Control.

وقد مس هذا التدخل الاوربى فى شئون البلاد كرامة

المصريين واثار حميتهم وانذرهم بسوء العقبى لا سيما حينما تجلت لهم مطامع اوربا فى انقضاض فرنسا على تونس فى مايو سنة ١٨٨١ واستيلائها عليها بلا مبرر

∴

تلك كانت حالة البلاد فى ذلك العهد العصيب : فالضائقة المالية مستحكمة ، والادارة معتلة والقضاء مختل ، والحكومة مستخذية مستضعفة امام الدولتين متجبرة متعجرفة على الاهلين ، والمصالح الاوربية تتوغل فى البلاد والامتيازات الاجنبية تشتد وطأتها ، والمصريون مغبونون فى حياتهم ومرافقهم غرباء فى اوطانهم وديارهم

الحركة الفكرية

كانت الحركة الفكرية فى مصر فى تقدم مطرد منذ نشر محمد على التعليم واتم اسماعيل ما بدأه محمد على من انشاء المدارس وارسال البعوث العلمية الى اوربا ، ثم حدثت ثلاثة عوامل زادت الحركة الفكرية نشاطا وزادت الافكار المستنيرة

اهتماما بشئون السياسة وهي : قدوم السيد جمال الدين الافغانى الى مصر، وانتشار الصحف المصريه، واتصال المصريين بالاوربيين

جمال الدين الافغانى

العلامة جمال الدين الافغاني ركن من اكبر اركان النهضة الفكرية الحديثة في مصر والشرق، هبط مصر سنة ١٨٧١ أي فى منتصف حكم اسماعيل وفى ابتداء الازمة الماليه وراح يلقي الدروس والمحاضرات فى العلوم والفلسفة فى الازهر ثم فى دار له، وكان محور تعاليمه التوفيق بين الاسلام وبين المدنية الحديثة والعلم ومحاربة التقاليد الجامدة التى درج عليها المسلمون فى حياتهم، وادخال النظم الدستورية التى يحث عليها الدين الاسلامي فى الممالك الاسلامية، فكان يندد باستبداد الملوك المسلمين ومخالفتهم بذلك الشريعة الاسلامية

فالتف حوله طلاب الازهر وعلماؤه وغيرهم من المتعلمين الذين اشرقت تعاليمه على نفوسهم ونبهت اذهانهم وجعلتهم

يشعرون بشدة ما كانت فيه البلاد من البلوى ويتطلعون الى اصلاح الحال ويفكرون فى الوسائل المؤدية الى ذلك حتى انهم لما رأوا أن استبداد اسماعيل وتبذيره وسوء تصرفه هي اصل البلاء فكروا فى اغتياله

وظل جمال الدين بمصر بقية عهد اسماعيل حتى نفاه توفيق فى اوائل حكمه ولكن بعد ان اثمرت تعاليمه واعتنقها كل متعلم فى البلاد وخلفه فى زعامة الحركة الفكرية انبغ تلاميذه الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده الذى تولى تحرير الجريدة الرسمية وادارة المطبوعات في اوائل عهد توفيق

انتشار الصحف :

كانت الصحف فى مصر الى اواخر عهد اسماعيل قليلة العدد وكانت لا تنشر سوى الانباء المحلية ولا تجرأ على معارضة الحكومة فى شيء ، فلما كانت النهضة التى بعثها جمال الدين كثرت الصحف وراح الكتاب والادباء بتشجيعه يتبارون فى كتابة المقالات والفصول فيها ، وراحت هذه الصحف تنهج منهج الصحف الاوربية التي



زعماء الحركة الفكرية :

الشيخ محمد عبده

كانت تصدر بمصر اذذاك وجعلت تنقل اخبار الحرب التى نشبت حينئذ بين تركيا والروسيا والتى كانت اخبارها تهم كل مسلم ، ثم توسعت واخذت تنشر اخبار الامم الاوربية واحوالها ونظم حكومتها ، مما نبه الافكار فانتشرت روح النقد وظهرت المعارضة للادارة الاوربية التي تولت أزمة البلاد فى ذلك الوقت ، وتجلى الرأي العام المصرى لاول مرة فى الصحف ، واصبحت الصحف عاملا كبيرا فى ايقاظ الاذهان وتحريك النفوس ونشر الافكار السياسيه

اتصال المصريين بالاوربيين :

لم يعد المصريين كما كانوا فى عهد الترك والمماليك بمعزل عن العالم بل صاروا على اتصال بغيرهم من الامم لا سيما الاوربيين الذين اصبحوا كثيرى الاختلاط بهم فى مصر واوربا وصارت تؤثر فيهم حوادث العالم الخارجيه

وقد كان القرن التاسع عشر عهد كفاح بين الحرية والاستبداد ، بين القوميه والاستعمار ، بين الوطنية والرؤوس المتوجه : استهل ذلك القرن باستقلال اليونان واختتم

Social conditions.

بالحركة الوطنية الدستورية في مصر ، وشهد فيما بين ذلك
ثورات وحروبا من اجل الحرية والقوميـة والوحـدة
والدستور في اكثر ممالك اوربا

وكان المصريون يرون انهم ليسوا اقل جداره بحـكم
انفسهم من شعوب البلقان التي قامت بثورات متتابعة على
تركيا واستخلصت منها استقلالها ، واذ كانوا يرون ان
الحكم الدستوري يسود معظم البلاد الراقية وتسعي له
الامم الناهضة ايقنوا ان هذا الحكم هو اساس التقدم والرقى
ولما كان الاسلام يحض على الشورى ولا يزكى حكم الفرد
وكان بمصر نواة للحكم الدستوري وهي مجلس شورى
النواب الذى أنشاه اسماعيل ولـكن لم يمنحه الاسلطة وهمية
تعلقت آمال المصريين بادخال هذا الحكم فى البلاد باعطاء
مجلس شوري النواب سلطة كاملة وجعل النظارة مسئولة
امامه ، وبذلك يقضى على حكم الفرد الذى كانت تئن منه
البلاد ويتولى المصريون ادارة شئونهم بانفسهم فيصلحون
احوال البلاد المعتلة ..

فنيل الدستور اذن كان غاية الثورة لكونه الوسيلة الوحيدة للاصلاح ، وقد كانت الثورة من اولها الى آخرها سلمية لم يعتد فيها على حرية فرد او هيئة ولا سفكت فيها قطرة دم حتى بعد ان افضت زعامتها الى الجيش ، فاذا سميت هذه النهضة ثورة فليس معنى ذلك انها كانت فتنة داخلية او انها انطوت على ضروب من التخريب والاعتداء كما يقصد المستعمرون والمغرضون ولكنها انما كانت نزعا للحكم المطلق وقضاء على الاستبداد القديم

نيل الدستور

الادارة الاوربية

بدأ التدخل الاوربي الفعلى فى شئون مصر سنة ١٨٧٦ حين انشئت المراقبة المالية الثنائية فصار على الايرادات مراقب انجليزى وعلى المصروفات مراقب فرنسى

ثم بلغ التدخل الاجنبى غايته سنة ١٨٧٨ : ففى اغسطس من تلك السنة تالفت نظارة نوبار التى عرفت بالنظارة الاوربيه لكونها تضم بين اعضائها ناظرين اوربيين احدهما انجليزى للمالية والثاني فرنسى للاشغال ، وكانت هذه النظارة مستقلة عن الخديو منفردة بالحكم دونه ، وزعم الاوربيون ذلك ادخالا للمسئولية الوزارية فى مصر ، ولكنها لم تكن مسئوله الا امام نفسها

تفاقم الاحوال :

ولم تتحسن احوال البلاد تحت الادارة الاوربيه بل زادت سوءا على سوء : فان هذه الادارة لم تعمل على اصلاح

الاحوال المختلفه كما كان المقصود من التدخل الاجنبي وانما عملت على ارضاء الدائنين الاوربيين وانتهاب اموال البلاد ومناصبها وخيراتها غير مكترثة بالخراب العاجل الذى كانت تدفع البلاد اليه

ولو كانت انجلترا وفرنسا خالصتى النيه فى تدخلهما مقصورتي الرغبه على اصلاح المالية المعتلة لنجحتا نجاحا تاما فى وقت قصير ولكان اكبر معوان لهما على انهاض البلاد خصوبة التربه المصرية الفريدة وجد الفلاح المصرى النادر ، ولكن الادارة الاوربية او الانجليزية الفرنسية كان همها جمع اقساط الديون وفوائدها التى كانت تبلغ ٦٦ ٪ من الميزانية فى مواعيدها دون مراعاة ما تستلزمه مرافق البلاد من الاموال ودون حل المسالة المالية حلا نهائيا عمليا يلائم حالة البلاد ، ولم تنقص الديون بل زادت تحت الادارة الاوربيه زيادة هائلة ولم تتحسن الميزانية بل عجزت عجزا ظاهرا ، وظلت تستخدم فى جميع الاموال نفس وسائل الارهاب والارهاق القديمة ، وظل رجال الادارة

الشراكسة يفرضون مظالمهم على الاهلين ، وفى عهد هذه النظارة اجتاح البلاد قحط لم تشهده من عهد المماليك فلم تتخذ تدابير حازمة لتخفيف وطاته ، وملئت الادارة بالموظفين الاوربيين ولا سيما الانجليز فى فترة وجيزه ، وظلت مرتبات الموظفين المصريين متاخرة بينما الموظفون الاوربيون الذين يشغلون الوظائف غير الضرورية ولا يؤدون عملا يتقاضون مرتباتهم الكبيرة غير منقوصة ، بل راحت النظارة الاوربيه تستغنى عن كثير من الموظفين المصريين و تخفض مرتبات آخرين طلبا للاقتصاد

ثورة الضباط :

وطلبا للاقتصاد عزلت مئات من الضباط دون دفع مرتباتهم المتاخرة منذ شهور ، فاشتد حنقهم ودبروا مظاهرة فى ١٨ فبراير سنة ١٨٧٩ وساروا الى نظارة المالية فحاصروها وضربو نوبار والناظر الانجليزى وسجنوهما ، و بلغ الخديو الخبر فجاء في حرسه وفرق المتظاهرين ، وارغمت النظارة على دفع مرتباتهم واستقال نوبار و خلفه فى رياسة النظارة

ولى العهد توفيق

وقد كانت حركة الضبـــاط هذه اول مظـاهر تذمر المصريين من سوء الادارة ، وكان لهـا أثرهـا فى نشر روح الثورة على النظام القائم ، كما كانت نذيرا للانجليز والفرنسيين بما لابد أن ينتهى اليـه استياء المصريين اذاهم استمروا على اهمال بصالح البلاد وحاجاتها والاستهانة بشعور الاهلين ومطالبهم

موقف مجلس النواب :

ومما احفظ المصريين على النظارة الاوربيه احتقارها مجلس النواب وعدم عرضها عليه أى شان الشئون ورفض الناظر الانجليزي المثول امامه ، وكان المجلس ازاء المحنـة التى كانت تجتازها البلاد قد رأى ضرورة اشتراكه فى النهوض بالعمل فتمسك بحقه فى فحص شئون الحكومه واحتج على النظارة فعولت على فضه فذهب اليه رياض باشا ناظر الداخليه فى ٦ مارس سنة ١٨٧٩ فالقى على النواب مرسوما بفض المجلس لانتهاء دورته وشكر الاعضـاء على خدماتهم الجليـلة التى ادوها ، فوقف النواب موقفا مشهودا : اذ ابو الانفضاض

واعلنوا أن الدورة لم تنته بعدوانهم لم يؤدوا خدمات يشكرون عليها ولم يقوموا بشئ من الواجبات التى انابتهم البلاد عنها للقيام بها

فكان موقف النواب مظهرا آخر من مظاهر استياء المصريين من سوء حال البلاد وتهيؤهم للاضطلاع بالاصلاح

افلاس الادارة الاوربية :

ثم بلغ السخط غايته حين اعد ناظر المالية الانجليزى مشروع تسوية للديون يتضمن تأجيل دفع القسط التالى من الفوائد ، ومعنى ذلك اشهار افلاس مصر ، ومعناه ايضا أن التدخل الاجنبى مع مافيه من مس بكرامة المصريين وما فيه من خطر على استقلال البلاد قداستعصى عليه اصلاح الاحوال واقدار البلاد على مواصلة دفع ديونها

قيام الحياة الدستورية

اضطلاع المصريين بالاصلاح :

لذلك عول المصريون على الاضطلاع بالاصلاح ، ففي

٥ ابريل سنة ١٨٧٩ رفع الوطنيون من نواب واعيان وعلماء وموظفين وضباط الى الخديو مشروعا لتسوية المسألة المالية يلائم مقدرة البلاد ويخالف مشروع الناظر الانجليزى وعريضة يلتمسون فيها منح مجلس النواب سلطة كاملة للاشراف على اعمال الحكومة وجعل النظارة مسئولة امامه وتاليف نظارة وطنية وقصر التدخل الاوربي على الشئون المالية دون الادارية

ولما كان اسماعيل ناقما على النظارة الاوربية انتزاعها سلطته فقد عضد الحركة الدستورية وقبل طلبات الوطنيين

نظارة شريف :

استقالت النظارة الاوربية والف شريف باشا زعيم الحركة الدستوريه نظارة جديدة وطنية فى ٧ ابريل، وشرعت النظارة تجرى الاصلاحات المنشودة ، وابتدات فى وضع الدستور وقانون الانتخاب الجديدين ، واجتمع مجلس النواب فى ١٧ مايو ووافق عليها بعد تنقيحات ، واستشرفت البلاد للعهد الذى كانت تصبو اليه : فصارت على راسها

حكومة دستورية عاملة على اصلاح الشئون العامة مع ضمان ديون الاجانب و تنظيم دفعها بما يناسب قوة البلاد

اعتراض انجلترا و فرنسا :

ولكن انجلترا وفرنسا كانتا تريدان البلاد غنيمة باردة تتخذان من ديونها ذريعة للتدخل فى شئونها ومن اختلال احوالها وسيلة لانشاب مطامعها فيها ، ولا تسمحان بقيام حركة اصلاحيه تنهض البلاد من عثرتها وتمكنها من الوقوف على قدميها

لذلك ابتا الاعتراف بنظارة شريف ، ورفضتا الموافقة على مشروعها المالى القاضى بتخفيض فائدة الديون الى ٥٪ مراعاة لطاقة البلاد ، وفى ٢٦ يونيه عزلتا اسماعيل الذى كان يعضد الحركة الوطنية ليخلفه ابنه توفيق المعروف بضعفه فيكون العوبة فى ايديهما وآلة للقضاء على الحركة الدستوريه

عودة الرجعيه

سر المصريون بعزل اسماعيل الذى كان سوء تصرفه

منبع كل المحن التى نكبت بها البلاد ، وان ساءهم ان جاء هذا العزل على يد الدول الاجنبية لا على يدهم هم انفسهم كما كانوا يريدون ، وسروا كذلك وتفاءلوا بتولية توفيق الذى كان من تلاميذ جمال الدين وكان يعد المصلحين بتحقيق الحكم الدستورى متى ارتقى العرش

ولكن توفيقا سرعان ما خيب الآمال التي عقدت عليه : فقد كان ضعيف الارادة غيورا حقودا محبا للانتقام صغيرا فى كل رغباته واعماله محبا للسلطة وان خيل اليه غير ذلك قبل ان يعتلى العرش ، ولم تبلغ تعاليم جمال الدين قرارة نفسه بل ظل دائما يعتبر نفسه « خديو البلاد الذى يفعل ما يريد » ولم توجد لديه قط الرغبة في المصلحة العامه التي تجعله يؤثر خير البلاد على استبقاء سلطة ومراعاة مصلحته

انقياد توفيق للدولتين :

كلف توفيق شريفا بتاليف نظارة جديد ، فاشترط هذا استبقاء الحكم النيابي فقبل توفيق ، وتالفت النظارة

الجديدة في ٢ يوليه ووضعت دستورا جديدا ورفعته للخديو للمصادقة عليه

ولكن الدولتين لم تنصبا توفيقا ليعضد الحركة الوطنية كما كان يعضدها ابوه ، فسرعان ما ابدى القنصلان الفرنسي والانجليزى للخديو عدم موافقتهما على وضع السلطة في يد مجلس النواب ولوحاله بعزله كما عزل ابوه من قبل ، فصادف قولهما هوى فى نفسه واثار مخاوفه معا ، ولو كان توفيق حازما حكيما لابى الانقياد للقنصلين واعتمد على قوة الشعب ، ولو فعل لما وسع انجلترا وفرنسا الا قبول الامر الواقع والرضاء بقصر وظيفة المراقبة على الشئون المالية ولا نتفي ما حدث بعد ذلك من ازمات ومصاعب ، ولكن توفيقا انقاد للقنصلين وبانقياده لهما اوجد للدولتين ثغرة للتدخل ومحاربة الحركة الوطنية : فراحتا تتداخلان لحمايته تارة من مجلس النواب وتارة من النظارة

رفض توفيق التوقيع على الدستور فاستقال شريف وعول الخديو على اطراح اوهام جمال الدين والمصلحين

والتفرد بالسلطة ، وغاب عنه القنصلين لم يوعزا اليه بمنع السلطة عن مجلس النواب ليستمتع بها هو بل ليستوليا عليها هما

نظارة رياض :

الف توفيق نظارة جديدة برياسته ، وبلغ من عقوقه لاستاذه ومبادئه ان نفاه من مصر ، ثم اشار عليه القنصلان ان يتخلى عن النظارة لرياض الذى اثبت فى عهد النظارة الاوربية انه آلة صماء فى ايدى الاوربيين ، فشكل رياض نظارته فى ٢١ سبتمبر واحتفظ الخديو لنفسه بحق مجلس النظار كلما شاء .

وكان رياض فضلا عن حظوته لدى الاوربيين ظالما نزاعا الى الحكم الاستبدادى شديد الاحتقار للفلاحين وطيد الثقة فى خضوع المصريين لكل ما يجرى عليهم من الاحكام عادلها وجائرها ، فنشر حكم الارهاب وبث الجواسيس على انصار الدستور واسكت المعارضة والبثت نظارته فى الحكم سنتين عادت فيهما البلاد الى عهد اسماعيل

الاستبدادى أو أشد

المراقبان والقنصلان :

واعادت الدولتان المراقبة المالية التى كانت الغيت فى عهد النظارة الاوربية ، ومنح المراقبان اوسع سلطة تمكنهما من الاشراف على كل كبيرة وصغيرة فى الحكومة ، ومنذ ذلك الوقت صارت السلطة الحقيقية فى ايدى القنصلين والمراقبين الذين كانت تتمثل فيهم مطامع الدولتين وتدخلهما فى شئون البلاد وعداؤهما للحركة الاصلاحيه وللحكم الدستورى

الغاء ديون المصريين :

وسوت المراقبة المسألة الماليـة تسوية نهائيـة بقـانون التصفية فى ١٧ يونيه سنة ١٨٨٠ وبمقتضاه جعلت فائدة الدين ٤ ٪ اى اقل من الفوائدة التى اقترحتهـا نظـارة شريف الدستورية ورفضتها الدولتان ، والغي قانون التصفية الديون التى كانت للدائنين المصريين على الحكومة فلم يسو بينهم وبين الدائنين الاجانب فكان لذلك اثره السيء فى البلاد

سريان الاستياء :

خيم كابوس الاستبداد مرة اخرى على البلاد ، وعادت مصالحها ومصائرها فى يد طغمة من الاوربيين والشراكس يتلاعبون بها كما شاءت مآربهم ، وشمل الاستياء كل طبقات الامة وهيئاتها ، وراح الحزب الوطنى والجمعيات السرية التي تالفت فى اواخر حكم اسماعيل تعقد اجتماعاتها سرا للنظر في الحالة الراهنة ، وكان اهم هذه الجمعيات جمعية عسكرية تضم المتذمرين من الضباط الذين اصابهم حيف الشراكسه ،وكان اكبر اعضاء هذه الجمعية احمد عرابي بك وعبد العال حلمى بك من امراء الآلايات

وكان لا بد لذلك السخط الشامل ان ينفجر فى بعض نواحيه، وقد اقتضت طبيعة الاحوال ان ينفجر على ايدى العسكريين الذين كانوا يشاركون غيرهم من طبقات الامة فى الشعور بسوء الحال ولكنهم كانوا يمتازون عن سواد الامة بالتنور والقوة اللذين كفلا لهم الجراة على معارضة الظلم والوقوف فى وجه الاستبداد رغم ذلك الارهاب المخيم

لا سيما وقد تجلت لهم قوتهم فى مظاهرة التي قاموا بها فى عهد النظارة الاوربيه

لذلك بدأ العسكريون بالدفاع عن مصالحهم الخاصة ثم انتهوا بالدفاع عن مصالح الامة عامة : بدأوا بالانتقاض على الغطرسة الشركسية في الجيش وانتهوا بالانتقاض على السيطرة الاوربية فى الادارة

المظاهرات العسكرية*

حادثة قصر النيل :

تقدم ان الشراكسة كانوا يعملون للاستئثار بالجيش تمهيدا لاحياء دولة المماليك بمصر ، وعملا لذلك سن ناظر الجهادية الشركسى عثمان رفقي باشا قانونا يحول دون ترقى الجنود المصريين بتقصير مدة خدمتهم ، فرأى الضباط المصريون انه لم يعد محل للسكوت على الاضطهادات التى كانت تتوالى على الوطنيين والحالة المزرية التى امسى بها الجيش من جراء تحكم الطبقة الشركسية العديمة الكفاءة

فوقعوا عريضة رفعها بالنيابة عنهم احمد عرابي وعبد العال حلمي وعلى فهمي الى نظارة الحربيه فى مايو سنة ١٨٨٠ يطلبون اجراء تحقيق عام فى الجيش والترقيـــات التى اجريت فيه

ولما كانت الكبرياء الشركسيه تابى ان يـكون للمصريين طلبات او اعتراضات وترى انما واجبهم الخضوع المطلق والطاعة العمياء عول ناظر الجهاديه على الانتقام من اولئك الضباط بتسخير جنودهم فى حفر بعض الترع ولم يعر مطالبهم اهتماما

فاضطر الضباط الى كتابة عريضة اخرى الى رئيس النظار فى منتصف يناير سنة ١٨٨١ يطلبون اجراء تحقيق عام فى الجيش ونظام الترقية فيه وعزل ناظر الجهادية الشركسى الذى يضطهد الوطنيين ورفع العريضة عرابي وفهمي

وبعد مداولة بين النظار والخديو قر رايهم على حل المسالة بالاسلوب التركى المعهود: اسلوب الخديعة والغـدر

فدعى الضابطان الى نظارة الحربية ، وكان المقصود القبض عليهما واغتيالهما ، ولكن عرابيا كان يجيد فهم مكر الاتراك كما ان البارودى ناظر الاوقاف حذر الضابطين مما بيت لهما فاعدا عدتهما لذلك

وفى اول فبراير ذهب عرابي وفهمي الى نظارة الجهادية فى قصر النيل ، فالقي القبض عليهما فورا ، فلما نمي خبر اعتقالهما الى الجنود جاءوا بقيادة عبد العال حلمي واقتحموا النظارة واخرجوهما وسار الضباط والجنود الى ميدان عابدين حيث طلبوا من الخديو عزل عثمان رفقى فلم ير بدا من اجابة طلبهم وعين البارودى ناظرا للجهاديه

ظهور عرابى :

وكان لحادثة قصر النيل صدى تردد فى انحاء القطر وسط ذلك التذمر المحبوس ، وظهر اسم عرابى على اثرها وحاز شهرة عظيمه لكونه المدبر لهذه الحركة ولاجترائه على معارضة حكومة الارهاب

كان عرابي في ذلك الوقت يناهز الاربعين من عمره

طويل القامة مهيب الطلعة بارز الشخصية بين زملائه وكان خطيبا بليغا ، وكانت نفسه متشبعة باكرم المبادىء الانسانيه ممتلئة بحب الحرية والسلام والخـــير لجميع الشعوب : فكان يعجب بالشاعر الانجليزى بيرون لا لشعره ولـكن لتطوعه للجهاد فى سبيل حرية اليونان ولم يـكن عرابي ثوريا بطبعـه ولـكن الظروف العصيبه التى احاطت بههي التى حملته على سلوك السبيل التى سلكها: فانه كان على جانب عظيم من الشجاعة الادبية والجرأة فى الحق والاخلاص لوطنه والايمان بمبادئه فلم يكن ليرضي عما كان فيه بنو وطنه من البلاء الشديد ولم يـكن ليخاف الجهر بمعارضة ما يعتقد انه ظلم او باطل

والى جراته الـكبيرة اولا ومقدرته الخطابية ثانيا يرجع انتهاء زعامة الثورة اليه وظهوره على غيره من القواد فقد كانت الجرأة هي العنصر الـلازم لتمزيق حجاب ذلك الاستبداد الضارب اطنابه ، كما ان الخطابة كانت ولا تزال اجل ادوات الزعماء وقادة الشعوب

لذلك توجهت انظار اعيان البلاد الراغبين فى الاصلاح والمطالبين بالدستور الى عرابي و بتوسط صديقه سلطان باشا كبير اغنياء الصعيد حصل عرابي على امضاءات وجوه الاقاليم يوكلونه فى الدفاع عن مطالبهم التى تتلخص فى ايجاد الحكم الدستورى

مظاهرة عابدين :

جعل رياض - بدلا من اجراء التحقيق الذى طالب به الضباط واصلاح المساوىء التى كانت موضع شكواهم - يدبر المكايد لاغتيالهم فكانوا ينجون منها بفضل تحذير صديقهم البارودى ، فعزم على تفريق كلمتهم بتشتيت آلاياتهم فى انحاء القطر ، فلما ابي البارودي الموافقة على امر النقل عزله وعين فى مكانه ناظرا شركسيا للجهادية مرة اخرى فايقن الضباط ان حياتهم ستظل فى خطر مادامت نظارة رياض فى الحكم والامل لهم فى تحسين حالة الجيش مادام للشراكسة الامر ، ولما كانت الوسيلة الوحيدة لاقصائهم عن الحكم هي ايجاد النظام الدستورى وكان النظام

الدستورى فى الوقت نفسه هو طلبة البلاد المنشودة لم يتردد الضباط فى السبيل التي يسلكون

في ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ سار الضباط على رأس جنودهم الى ساحة عابدين ليرفعوا الى الخديو باسم الامة ثلاثة مطالب وهى : عزل النظارة ودعوة مجلس النواب وزيادة الجيش الى الحد الاقصى الذى تخوله الفرمانات ، وهناك قابل عرابي الخديو وكان هذا مصحوبا بالمراقب المالى الانجليزى الذى تدخل بينهما تدخلا فضوليا واشار على الخديو بقتل الجندي الثائر وهو يعلم ان مثل هذه الفعلة كانت تلقى البلاد فى فتنة شعواء ، وبعد اخذ ورد وعد الخديو بانفاذ مطالب الامة جميعا ، فاقيلت نظارة رياض واختار الوطنيون شريفا لتاليف النظارة الجديدة التى ستاخذ على عاتقها دعوة مجلس النواب وزيادة عدد الجيش

عودة الحياة الدستورية

هكذا انتصرت الامة انتصارا تاما ، وقلبت حكومة

الاستبداد دون ان تراق فى ذلك الانقلاب قطرة دم ، وقد طربت البلاد من اقصاها الى اقصاها لهذا الانتصار الباهر واستبشرت بعصر الحرية الذى أشرق عليها فجأة ، فاقيمت الحفلات فرحا وسرورا وبلغ من ابتهاج الناس ان كانوا يتقابلون فى الطريق فيتعانقون على غير سابق معرفة ويهنيء بعضهم بعضا

وبدهي ان الجيش المصرى لم يكن فى هذا الدور الذى لعبه متمردا ولا عاصيا وانما كان مدافعا عن مطالب الامة جميعها مثله فى ذلك مثل الجيش التركى الذى انتزع الدستور من السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٨

نظارة شريف :

الف شريف باشا نظارة جديدة فى ١٤ سبتمبر وفيها عاد البارودى ناظرا للحربية

اما عرابى فبعد أن أتم هذا العمل المجيد اعلن انه وقد أدى واجبه سيتنحي جانبا ويدع اتمام الاصلاح لزملائه المدنيين

وفى اوائل اكتوبر امره شريف بالذهاب مع الايه الى بلدة رامى الوادى بالشرقية وامر عبد العال بالسير الى دمياط ففعلا

انعقاد مجلس النواب :

وأجرت النظاره الانتخابات وافتتح الخديو مجلس النواب فى ٢٦ ديسمبر وعين سلطانا باشا رئيسا له، وانصرف المجلس الى تنظيم شئونه الداخلية واعد شريف دستورا جديدا وقدمه للمجلس فشكلت لجنة لفحصه

والمطلع على مضابط المجلس لذلك الوقت يري ان النواب قد اظهروا من سداد الراى والدراية بشئون البلاد ووجوه الاصلاح والحرص على مصالح البلاد مايرفع رأس المصريين ويثبت صلاحيتهم للنظام النيابي وجدارتهم بحكم انفسهم

وساد البلاد اذ ذاك سلام تام واطمأن الناس فى ظل حكومتهم الدستورية وتوقعوا على يدها كل خير ، وجاءت الى مصر فى ذلك الوقت بعثة تركية للتحقيق فيما جرى من المظاهرات العسكرية فوجدت البلاد فى أتم هدوء وسكينه

عدوان انجلترا وفرنسا

تمهيد : سياسة الدولتين

تنافس الدولتين :

كانت مصر منذ زمن الحملة الفرنسيه ـ اى منذ حاول الفرنسيون الاستيلاء على مصر فطردهم منها الانجليز ـ مسرحا للتنافس بين انجلترا وفرنسا كل منهما تسعى جهدها لتبسط نفوذها فيها وتحول دون انتشار نفوذ الاخرى بها فكانتا دائبتين تستبقان الفرص وتبتدران المصالح والمغانم ، وكانت كفة فرنسا هي الراجحة ونفوذها الادبى هو السائد فى مصر من عهد محمد على الى عهد سعيد لاستعانه محمد على بالفرنسيين وحدهم فى تمدين مصر وسماح سعيد بتنفيذ مشروع قناة السويس الفرنسى ، فلما كان عهد اسماعيل بدأ نفوذ انجلترا بغالب نفوذ فرنسا لاستخدام اسماعيل الانجليز والفرنسيين معا فى الحكومة وفى تنفيذ مشروعاته المختلفة واستدانته من مصارف انجلترا وفرنسا على السواء ، ثم

رجحت مصالح انجلترا في مصر عند ما باع اسماعيل اسهم مصر فى القناة لانجلترا

فلما تكاثرت المصالح الانجليزية فى مصر وتزعزع مركز مصر في الوقت نفسه من جراء اسراف اسماعيل شعرت انجلترا بسنوح الفرصة لتنفيذ سياستها التقليدية التى اخذت نفسها بها منذ عهد الحملة الفرنسية سياسة الاستيلاء على مصر فحملت اسماعيل على استقدام بعثة انجليزية لفحص ماليته ثم حملته على تعيين ناظر انجليزى للمالية المصرية والنزول عن سلطته للنظارة كما تقدم ، وكانت تتحايل دائما للانفراد بالعمل دون فرنسا

اما فرنسا فعلمها بعدم امكان تفردها بالعمل دون انجلترا كانت تعمل دائما للحصول على نصيب مساو لنصيب انجلترا فى كل التسويات التى تتم فى مصر ، وقد تم لها ذلك فى مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ اذ اضطرت انجلترا فى ذلك المؤتمر ترضية لفرنسا ان تساوى بين حظيهما من التدخل فى شئون مصر وان تسمح لها بالاستيلاء على تونس وتنفيذا لهذا الاتفاق

عين ناظر فرنسي للاشغال المصرية بجانب ناظر المالية الانجليزى

موقف المصريين :

وكانت كلتا الدولتين تعملان للتدخل السلمى فى بادىء الامر ، فلما ظهرت الحركة الوطنيـة الدستورية على المسرح منذ سنة ١٨٧٩ اصبح امام الدولتين اربع طرق لتنفيذ مآربهما : اما ارهاب المصريين وارغامهم على قبول التدخل السلمى فى شئون بلادهم ، وهذا ما اندفعتا اليه فى اول الامر ولـكنهما اخفقتا فيه غير مرة ، واما تدخلهما تدخلا حربيا وهذا ما كانت تاباه انجلترا لرغبتها فى الاستئثار بمصر ، واما حمل تركيا صاحبة السيادة الاسميه على ارسال جيش لقمع الثورة على ان يعود الجيـش ادراجه متى اتم عمـله ولا يمس استقلال مصر ، وهذا ما كانت لاترتاح اليـه الدولتان ولا تودان اللجوء اليـه الا عند الضرورة القصوى ، واما ان تتدخل انجلترا وحدها تدخلا حربيا وهذا ما كانت تريده انجلترا وتعارض فيه فرنسا وتؤثر عليه كل حال آخر وكانت لذلك عقبة فى سبيل انجلترا تحول بينها وبين هذه الفرصة السانحة

تردد فرنسا :

وظلت السياسة الثنائيه متبعة فى مصر حتي تولى الوزارة الفرنسية غمبتا في منتصف نوفمبر سنة ١٨٨١ وكان متطرفا فى نزعته الاستعمارية فعول على الحاق مصر بتونس وجعل شمالى افريقيه جميعه ضيعة فرنسية ، فشرع يعد حملة سرا فى جنوب فرنسا لأخذ مصر على غرة كما أخذت تونس ومهد للتدخل الحربي بارسال الانذار المعروف بالمذكرة المشتركة لخلق الاضطراب فى مصر ، غير ان سقوط وزارته فى آخر يناير سنة ١٨٨٢ قضى على خطته لان خلفه دى فريسنيه لم يكن من انصار التوسع الخارجى

كانت فرنسا فى ذلك الوقت لا تزال تعالج سكرات الضربة التي اصابتها فى حرب السبعين : فكانت تتناهبها الاختلافات الداخلية بين الاحزاب ويتنازعها الخوف من ظهور الدولة الالمانية على تخومها الشرقية وتخشى العزلة فى اوربا ، فشل ذلك حركتها فى الساعة الرهيبه ساعة الفصل فى المسالة المصريه : اذ ابت ابعاد جانب جديد من جيشها

الى افريقيه بينما حدودها الشرقية مهددة وخشيت ان يؤدى الاشتراك مع انجلترا فى التدخل الحربي الى نزاع يفصم ما بينهما من تحالف

تفرد انجلترا :

فلما وثقت انجلترا من تصميم فرنسا على عدم التدخل الحربي ، وكان التدخل السلمي قد اخفق ازاء تمسك المصريين بحقوقهم بادرت الى اغتنام الفرصة والتفرد بالتدخل الحربي بعد ان زالت من طريقها العقبة الكؤود التى كانت لا تستطيع التخلص منها ، فامرت اسطولها بضرب الاسكندرية وارسلت جيوشها الى مصر

المذكرة المشتركة الاولى

الميزانية بين المراقبة والنواب :

كانت اقساط الديون وفوائدها السنوية حسب قانون التصفية تبلغ نحو نصف الميزانية المصرية ، فلما انعقد مجلس النواب اراد ان يكون له حق تقرير نصفها الاخر الذى لا علاقة له بالديون ولكن المراقبين ابيا ان ينظر مجلس النواب

فى شيء من الميزانية ، اى انهما بعـــد اذ فتح المجلس بالرغم منهما ارادا ان يجعلا سلطته وهمية ، ووافقهما الخديو طبعا ، ووافقهما كذلك شريف لمبالغته فى الاعتدال وضعف ارادته فقدم للمجلس دستورا جديدا يخرج من يد المجلس كل نظر فى الميزانية ، فلما تمسك المجلس بسلطته وحقوق البلاد حاول المراقبان ان يوهماه بان الميزانية المصرية مقيدة بتعهدات دولية يجب الا تمس ولكن المجلس كان اصح فهما من ان ينخدع لهما

وبالرغم من ان المجلس انما كان يتمسك بحق ثابت لا شبهة فيه فانه حسما للنزاع وارضاء للمراقبة واظهار لمسالمته امام الدولتين تنازل فعرض على النظارة حلا وسطا : وذلك ان تتولى تقرير نصف الميزانية الخالى من الديون لجنة مؤلفة من النظار ومثل عددهم من النواب ، ولكن المراقبين كانا يريدان احد امرين لا ثالث لهما : اما ان ينفض المجلس يده من كل سلطة ويترك كل شيء لهما واما ان يشهرا عليه الحرب

ايقاع الدولتين بين الخديو والنواب :

اغتنم غمبتا الفرصة التي كان ينتظرها فرصة الخلاف على مسالة الميزانية بين مجلس النواب المصرى وبين الخديو يؤازره المراقبان ليتدخل بحجة حماية الخديو حاكم البلاد الشرعي من المجلس الثائر عليه يرمي بذلك الى تشجيع الخديو على الاحتماء بالاجانب وعدم الانقياد للوطنيين والى دفع الوطنيين فى الوقت نفسه الى التطرف فى حركتهم ، فاستطاع بعد جهد كبير ان يحمل انجلترا على موافقته وارسلت الدولتان فى ٧ يناير سنة ١٨٨١ مذكرة مشتركة الى الخديو تؤكدان له انهما متضامنتان فى شان السياسة التى تتبعانهما فى مصر ومستعدتان لمساعدته للتغلب على الصعاب التي تواجهه واهمها الصعاب التى نشات من انعقاد مجلس النواب

اراد غمبتا بتلك المذكرة ان يمهد للتدخل الحربي كما تقدم وارادت انجلترا مجرد تخويف الوطنيين وحملهم على قبول التدخل السلمى

تاثير المذكره :

جاءت هذه المذكرة فى وقت كان يسود فيه السلام والاطمئنان كما تقدم ، فكان لها اسوأ وقع فى البلاد : فاثارت استياء المصريين من الدولتين وتخوفهم من نواياهما بل استاءت الدول الاخرى ذاتها لهذا التدخل العدائي الذى لم يكن له مبرر ، وازداد النواب ازاء عدوان انجلترا وفرنسا تمسكا بحقوق مجلسهم ووطنهم ، وقال عرابي باشا فى تفسير هذه المذكرة - وكان قد عين منذ ايام وكيلا للحربيه - : ان معـــني تضامن انجلترا وفرنسا فى المسالة المصرية ان انجلترا ستستولى على مصر كما استولت فرنسا على تونس واتحد الحزب العسكرى والحزب الوطنى ومجلس النواب بل اتحد المصريون جميعا وصاروا كتلة واحدة امام الخطر الاجنبى وارتفع شان الحزب العسكرى ازاء عدوان الدولتين بعد ما كان توارى عقب اجتماع مجلس النواب ، وراح يستعـــد للحرب لئلا تباغت البـــلاد كما بوغتت تونس

نزعة الوطنيين السلمية :

ولكن رغم استمرار الاستعداد الحربي ظل الوطنيون وفى مقدمتهم عرابي يعربون في كل فرصة عن رغبتهم في مسالمة جميع الشعوب ويطلبون صداقة انجلترا خاصة ويعلنون ان غايتهم ليست الا الاصلاح والا تحرير البلاد من نير الشراكسة وتمتيعها بحكم نفسها داخل حدود استقلالها الذى كفلته لها الفرمانات التي حصل عليها المصريون بدمائهم واعترفت بها الدول ، ويعلنون احترامهم لكل التزامات مصر واعترافهم بحسنات المراقبة المالية ورغبتهم فى التعاون معها

استيلاء العسكريين على الحكم

نظارة البارودى :

لما بالغ شريف فى سياسة الاعتدال وتمادي فى موافقة المراقبين والقنصلين واصر على حرمان المجلس من النظر فى الميزانية صمم الوطنيون على التخلى عنه فطلب النواب من

الخديو اقالته ففعل وعهد بتاليف النظارة الجديده الى محمود سامي البارودى باشا فى ٢ فبراير وتقلد عرابى نظارة الجهاديه وبذا آلت الحكومة الى يد الحزب العسكرى الذى اصبح متمتعا بالنفوذ والثقة

حل مسألة الميزانية :

اعدت النظارة دستورا يوافق رغبات المجلس وقدمته له فصادق عليه ، وفحصت الميزانية لجنة مكونة من النظار ومثل عددهم من النواب

وقد اشتد حنق المراقبين لذلك واحتجا على الدستور الجديد فى خطاب رفعاه الى الخديو يعلنان فيه ان الحكم الدستورى غير ملائم لحالة البلاد وينذران بارتباك الاحوال وعجز المالية بعد صيرورة السلطة الى يد المجلس ويوغران صدر الخديو على المجلس الذي اغتصب سلطته ، فردت النظارة عليهما مؤكدة لهما أن حقوق الدائنين ستبقي محفوظة والمراقبة المالية ستبقى مرعية

وبذا توطدت سلطة مجلس النواب وتوطدت الحياة

الدستورية وفصل نهائيا بين المراقبة المالية و بين الادارة

اعمال المجالس والنظارة :

وانصرفت النظارة والمجلس الى النظر في الاصلاحات المختلفة التى كانت تتطلبها البلاد : فاشتغلت النظارة باعداد مشروعات لنشر التعليم الاجبارى واصلاح المحاكم والغاء السخرة وتنظيم الرى وغير ذلك لعرضها على المجلس فضلا عن اشتغالها باصلاح حال الجيش والاستعداد الحربي ،والف المجلس لجانا مختلفة لتحقيق الخلل الفاشى في مصلحة الجمارك ومصلحة المساحة ومصلحة الدومين التى اختلت جميعا تحت الادارة الاوربية وفحص التزامات الحكومة المصرية والمعاهدات التى عقدتها مع الدول الاجنبيه ورعاياها

وسارت الاحوال على خير مايكون من الانتظام والسلام ولم يحدث شيء من الويلات والنكبات التى تنبأ بها المراقبان

المذكرة المشتركة الثانية

راع انجلترا وفرنسا تقدم الحركة الوطنية واحرازها

الانتصار تلو الانتصار وادهشتهما جرأة المصريين وعدم اكتراثهم بوعيدهما وتهديدهما فمولتا على بذل محاولة اخيرة لارهابهم وقهرهم على الرضوخ للتدخل السلمي

ايقاع الدولتين بين الخديو والنظارة :

ومهدتا لذلك بالايقاع بين الخديو والنظارة ، اذ كانت النظارة فى هذه المرة وطنية صحيحة ، وقد سهل عليهما مهمة هذا الايقاع اخلاق الخديو الصغير النفس الذي كان لا يطيق صبرا على استئثار الفلاحين نوابا ووزراء بحكم البلاد دونه هو الخديو الذى ورث مصر والمصريين عن آبائه واجداده فانقاد لسعايات القنصلين والمراقبين وتهالك على الاحتماء بالدولتين غير مبال بعواقب هذا الاحتماء على البلاد

وتجلى الخلاف بين الخديو والنظارة فى حادثة المؤامرة الشركسية : وذلك ان بعض الضباط الشراكسة تآمروا على قتل عرابي وزملائه لقلب نظام الحكم واعادة الحكم الرجعي ، وعلمت النظارة بامرهم فالقت القبض عليهم

وحاكمتهم امام محكمة عسكرية فحكم عليهم فى اول مايو بالنفي الى اقاصى السودان، ورفع الحكم الى الخديو للمصادقه عليه ولم يكن الدستور يخول له حق المعارضة فى القرارات العسكرية ولكن القنصل الانجليزى اشار عليه بالامتناع عن التوقيع فاطاع واحتج لذلك بصرامة الحكم وكان مجلس النواب قد انفض فى ٢٦ مارس لانتهاء دورته فدعته النظارة للانعقاد للنظر فى الخلاف بين الخديو والنظارة فجاء النواب الى العاصمة ولكنهم لم يجتمعوا في مجلسهم بل حاولوا التوفيق بين الخديو والنظارة وتلافى الخلاف الذى كان يهدد مصلحة البلاد

ارسال المذكرة والاسطوليں :

ولكن الدولتين ابتدرتا الفرصة وارسلتا مذكرة جديدة فى ٢٥ مايو تطالبان فيها باستقالة النظارة وبابعاد عرابي باشا من القطر وابعاد رفيقيه عبد العال باشا وفهمى باشا الى الارياف ، وارسلت الدولتان في الوقت نفسه اسطوليهما الى مياه الاسكندرية لارهاب المصريين

رفضت النظارة المذكرة ولكن الخديو قبلها ، فلم تر النظارة بدا من الاستقالة محتجة على الخديو الذى يقبل تدخل الدول فى شئون البلاد ، ولكن عرابيا لم يخضع هو وزميلاه لاوامر الدولتين ، وقال ان واجبه البقاء فى بلاده للدفاع عنها لا هجرها ، وهكذا فشلت آخر محاولة من جانب الدولتين لاخماد الحركة الوطنية سلما

تاثير المذكره والسفنه الحربية :

وهاج الرأى العام لهذه المذكرة الثانية وقامت المظاهرات احتجاجا - واضطرب الاهلون لمجيء السفن الحربية واخذ كثير من الاحانب في المهاجرة من البلاد وهكذا بعث تدخل الدولتين الفزع والاضطراب حيث كان يسود الامن والسلام

وتمسك المصريون ببقاء عرابي فى الجهادية فاضطر توفيق لاعادته الى منصبه ولكنه طلب اليه - فى حضور قناصل الدول والمندوب الذي ارسلته تركيا للتحقيق من جديد - ان يتعهد بالمحافظة على الامن العام فتعهد عرابي

بذلك ولم يؤلف الخديو نظارة جديدة

مقدمات تدخل انجلترا الحربى

انسحاب فرنسا :

لما تمسك المصريون بحقوقهم واخفقت الدولتان فى فرض تدخلهما السلمى لم تر فرنسا ان تتبع التهديد بالعمل ورات قبول الامر الواقع والاتفاق مع الوطنيين المصريين ففى اول يونيه اعلن فريسنيه فى مجلس النواب الفرنسى ان فرنسا لن تتدخل فى مصر تدخلا حربيا باي حال

ولكن نكوص فرنسا اخلى السبيل لانجلترا فسارعت هذه الى التفرد بالعمل ، ومنذ ذلك التاريخ اتفق الخديو والقنصل الانجيزى على تدخل انجلترا المسلح وصار الاتفاق بينهما فى الخطط تاما

افتراءات الصحف الانجليزية :

وتمهيدا للتدخل الحربي اخذت صحف انجلترا تنشر الاكاذيب والاراجيف عن عرابى والوطنيين وحالة البلاد

وتصور الحركة الوطنية فى صورة فتنـة وتقلب الامـن فى البلاد اضطرابا وتزعم الحق باطلا والباطل حقا تحاول خلق جو قاتم تستطيع انجلترا التدخل خلاله

فتارة تزعم ان المذابح فى الاوربيـين منتشرة فى انحاء القطر وتقول ان قبائل البدو وعصابات الاشقيـاء تعيث فى الوجه البحري ، وطورا تدعى ان عرابيا لايمثل المصريين وانما هو ثائر علي الخديو وتقول ان الاهالى امتنعوا عن دفع الضرائب ، واحيـانا تفترى على عرابي انـه مأجـور لاسماعيل ثم تعود فتزعم انة مأجور للسلطان ، واحيانا تقول ان الحزب الوطني ينوى خلع الخديو توفيق وتنصيب الامير حليم مكانه

وكانت القنصليـة الانجليزية فى القاهرة مسيطرة على الاخبار التى ترسل عن مصر الى الصحف الانجليزية فكان مراسلوها لايبعثون اليها الا ماتسمح القنصلية بنشره

تقارير القناصل الانجليز :

وصدرت اوامر وزارة الخارجية الانجليزية الى القناصل

الانجليز فى القطر المصرى ان يرسلوا اليها تقـارير عن حالة البلاد تنبئ بحرج الموقف وشيوع الفوضى واستهداف حياة الاوربيين للخطر ، ففعلوا كما امروا

تشجيع الفتنة فى السودان :

وراح الخديو فى الوقت نفسه يخدم سادته الانجليز من طريق آخر : فجعل يراسل حاكم السودان يأمره بالتهاون فى شأن المهدى الذى خلع طاعة الحكومة لتنتشر الفتنة فى السودان وتعزى الى سوء حكم الوطنيين

مذبحة الاسكندرية :

ثم فكر توفيق وحلفاؤه الانجليز فى ضرب عرابي والحركة الوطنية ضربة شديدة بتدبير فتنة يضطرب لها حبل الامن الذى تكفل عرابى بالمحافظة عليه

وعمل الخديو على اثارة هذه الفتنـة فى القاهرة حيث تقيم جاليه كبيرة من الاوربيين ، فاستأجر بعض الاعراب الضاربين فى ارباض القاهرة ليدخلوا المدينة فى يوم معلوم ويثيروا فيها الشغب ويعملوا فيها السلب والنهب ويعنوا

فى الاوربيين ذبحا وتقتيلا ، ولكن الاعراب بعد ان حصلوا على المال الذى سخا به عليهم الخديو خافوا من الجيش واحجموا عن دخول المدينة

فتحولت انظار الخديو الى الاسكندرية وهي المدينة الثانية التي يقيم بها الاوربيون ، وكان الجو اصلح فى الاسكندريه منه فى القاهرة لنجاح المؤامرة : لبعدها عن مركز الجيش واضطراب خواطر الاهالى والاجانب منذ قدوم الاسطولين ولان محافظ الثغر اذ ذاك كان رجلا شركسيا عينه الخديو فى عهد نظارة البارودى بعد الحاح كبير على رئيس النظار ، فارسل الخديو الى المحافظ يامره بتدبير مذبحه بين الوطنيين والاجانب فاستقدم المحافظ بعض الاعراب النوبيين وسلحهم بالعصي وزودهم بالتعليمات وسلح القنصل الانجليزى فى الاسكندرية الرعايا المالطيين بالسكاكين والاسلحة النارية

وفى يوم ١١ يونيه ، وهو اليوم الذى اختاره المتآمرون ، خرج مالطى من دار القنصليه الانجليزية في

الاسكندرية واستاجر عربة ولما نزل اراد ان يصرف السائق المصرى بدون اجر فلما طالبه باجره بادره بطعنة سكين خر منها صريعا ، وتكأكأ الرعاع وانتصروا للسائق وانتصر المالطيون لابن جلدتهم وظهر الاعراب والنوبيون فى مكان الحادثة ، واخطرت المحافظه على الاثر ولكن المحافظ توانى فى ارسال البوليس ، واخيرا ارسل بعض رجاله ولكنهم بدل ان يعملوا على قمع الفتنة اشتركوا فيها وجعلوا يحرضون البدو والنوبيين على القتال حتى انتشرت المذبحة فى احياء كثيرة ، ثم راى المحافظ انه اصبح عاجزا عن ايقافها بعد ان تم له منها ما اراد فاستنجد فرقة الجيش التي كانت مرابطة على مقربة من المدينة ، فجاءت الجنود وفرقت المتشاجرين فى الحال وردت الامن الى نصابه

وراحت الصحف الانجليزية تهول من شان المذبحة وتبالغ فى تعداد ضحاياها وتتخذها دليلا على تعصب الوطنيين والخطر الذى يتهدد الاوربيين فى مصر وضرورة قيام انجلترا بحمايتهم

عطف الدول على الحركة :

كانت الدول الاوربية تعطف على الحركة الوطنيه المصرية وتعتبر عرابيا بحق بطلا من ابطال الحرية كغاريبلدى وكوشوت ومدحت وغيرهم من معاصرية الاحرار ، وكذلك كانت تركيا منذ ارسال المذكرة الاولى تعضد عرابيا الذى كان يقف فى وجه التدخل الاوربي فى البلاد بعكس توفيق الذى كان يترامى فى احضان انجلترا وفرنسا

رغبة الدول فى الاتفاق مع الوطنيين :

ولم يقل عطف الدول على الحركة بعد مذبحة الاسكندرية بل جاءت نتيجة هذه المذبحة على عكس ما اراد مدبروها تماما : اذ اثبتت للدول ان عرابيا هو وحده القادر على حفظ الامن ، فان تدخل جنود الجيش هو الذى وضع حدا للفتنه

ورات المانيا والنمسا وايطاليا ان خير حل للمسالة

المصرية وخير وسيلة لتوطيد الامن فى مصر الاتفاق مع عرابي وتضحية الخديو الذى يقاوم الحركة الوطنية وقال بسمرك فى هذا الصدد : ان عرابيا قد اصبح قوة يجب ان يحسب لها حساب ، وكانت تركيا تشاطر دول لوسط هذا الراى وشاطرتها اياه فرنسا ايضا بعد ان قر قرارها على عدم التدخل حربيا وفاتح فريسنه الحكومة الانجليزية في ذلك ، ولكن هذه اجابت بان من المستحيل تسوية المسالة المصرية الا بعد القضاء على عرابي باشا والحزب العسكري

نظارة راغب باشا :

ظلت البلاد اكثر من ثلاثة اسابيع بدون نظارة ، ولما كان ذلك معطلا للاعمال ومهددا للامن العام الح قنصلا المانيا والنمسا على الخديو فى تعيين نظارة معتدلة من الوطنيين المعتدلين منعا لما يوجب تدخل انجلترا وفرنسا فعهد الخديو الى اسماعيل راغب باشا بتاليف نظارة جديدة فالفها فى ١٩ يونيه وظل فيها عرابي ناظرا للجهادية

ثم انتقل الخديو والنظار الى الاسكندريه

مؤتمر الاستانة الدولى :

اعتبرت الدول قيام نظاره راغب بعد استقالة النظاره العسكرية حلا مرضيا للازمة ، الا انجلترا التي رات ان ذلك لا يحل المسالة بحال ، ولما ابت انجلترا الاتفاق مع الوطنيين لتصميمها على التدخل الحربي رات فرنسا منعا لانفراد انجلترا بالعمل ان تعرض المسالة المصرية على الدول جميعا ، فدعت انجلترا الى عقد مؤتمر دولى فلم يسع انجلترا الا القبول ورحبت باقى الدول بالدعوة ، وعقد المؤتمر فى الاستانه فى ٢٣ يونيه ، ولكن تركيا رفضت الاشتراك فيه بحجة انها وحدها صاحبة الشان وكانت فى الواقع تخشى ان يتخذ المؤتمر قرارات ضد الحركة المصرية

واول ما قرره المؤتمر الا تنفرد دولة من الدول المشتركة فيه باى عمل او امتياز دون باقى الدول ، ثم قرر ان ليس لدولة ان تقوم بعمل ما دام المؤتمر منعقدا ، وكان المقصود بهذين القرارين انجلترا وحدها ، وفى ٦ يوليه قرر المؤتمر

دعوة تركيا لارسال جيش الى مصر لاخماد الثورة

انجلترا تكشف القناع :

فلم يرق ذلك في عين انجلترا التى كانت تريد ان يفوض المؤتمر اخماد الثورة اليها ، وخشيت ان يؤدى دخول المسالة المصرية فى ايدى الدول الى حرمانها الى الابد من فرصة لتنفيذ مطامعها ، فخرقت قرارات المؤتمر التى اشتركت فيها وامرت قائد اسطولها بضرب الاسكندرية لتضع الدول امام امر واقع وتحملها قهرا على تفويض امر مصر اليها ، ولما اشتركت تركيا اخيرا فى المؤتمر وقبلت ارسال جيشها الى مصر أشترطت انجلترا ان يعلن السلطان عصيان عرابى ثم مضت في الاشتراطات والتمحلات لتعرقل اعمال تركيا وتكسب الوقت لانهاء عملها الحربي .

الدفاع الوطني

ضرب الاسكندرية

جعل قائد الاسطول الانجليزى الراسي فى مياه الاسكندرية يتجنى على الوطنيين الذنوب وينتحل لمصادمتهم الاعذار : فادعي اولا ان فى حصون المدينة نشاطا وحركة غير اعتيادية وطلب ايقاف اعمال التحصين ثم ادعى ان المدينة فى فوضى شديدة واخيرا طلب تسليم الحصون اليه والا اطلق عليها النيران

فعقد مؤتمر بحضور الخديو والمندوب التركى للنظر فى طلب الاميرال فقرر رفضه وعهد الى عرابي بالدفاع عن البلاد ، وبذا وقف المصريون يدافعون عن حريتهم امام اكبر قوة استعمارية عرفها التاريخ

وكانت البوارج الانجليزية راسية داخل الميناء فكان فى وسع العرابيين بعد ان اصبح وقوع الحرب لاشك فيه ان يسلطوا نيران حصونهم عليها فيلحقوا بها ضررا جسيما

ولكن عرابيا التزم خطه الدفاع وتجنب البدء بالعدوان وترك الاسطول ينسحب من الميناء ويرتب مواقعه في عرض البحر تأهبا للمعركة

وفى صباح ١١ يوليه بدأ الاسطول الانجليزى يطلق قنابله على المدينة فجاوبته الحصون بنيرانها ، وانسحب الاسطول الفرنسى ، واستمر الترامي بين الفريقين الى المساء ، ولما كانت القلاع قديمة العهد بالاصلاح والتحصين تمكن الاسطول من التغلب عليها وعول الجيش المصرى على الانسحاب من الاسكندرية مؤقتا

وقد اثار ضرب الاسكندرية دويا عظيما فى اوربا : اذ استاءت الدول من عدوان انجلترا وخرقها قرارات المؤتمر ، فانسحبت الروسيا من مؤتمر الاستانه ورفضت باقي الدول ان تفوض الى انجلترا القيام بالعمل وحدها ، واستقال جون برايت احد اعضاء الوزارة الانجليزية احتجاجا على عمل دولته واعلن فى خطاب له فى البرلمان الانجليزى ان ضرب الاسكندرية مناف للقوانين الدولية

ومبادىء الاخلاق التى يجب على الدول ان تراعيها فى معاملاتها كما يراعيها الافراد فيما بينهم ، وبلغ من غضب الاحرار فى اوربا ان غاريبلدى الزعيم الايطالى شرع بحملة لنصرة الاحرار المصريين ، وقد كان ثوران الشعور ضد انجلترا على هذا النحو هو الذى حمل انجلترا على تكرار الوعود بالجلاء عن مصر حالما تستتب فيها الامور

مناوشات كفر الدوار

كان فى عزم الانجليز بعد ضرب الاسكندرية المبادرة بانزال الجنود لقطع خط الرجعه على المصريين لانهاء الحرب باقصي سرعة ، غير ان شبوب النار في المدينة عقب جلاء الجيش المصرى عنها افسد خطتهم ومكن المصريين من الارتداد الى كفر الدوار حيث تحصنوا وكان موقعا منيعا : اذ ان كفر الدوار واقعة على السكة الحديدية الموصلة الى العاصمة بينما يصعب الوصول اليها من الاسكندرية وكانت تحف بها

المستنقعات فتحمي جانبيها

وظل الانجليز نحو شهر يهاجمون الجيش المصرى فيرد هجومهم ويطاردهم الى ابواب الاسكندرية حتى يئسوا من من اختراق خطوط المصريين فى تلك الجهة وعولوا على غزو مصر من الجهة الشرقيه

وكان الشهران اللذان استغرقتهما الحرب من الايام المشهودة فى مصر: فمنذ قيام الحرب اقبل المصريون يقدمون للجيش ما يملكون من مساعدة: فتطوع كثيرون فى تسهيل مهمات الجيش وقدم غيرهم ما يحتاج اليه الجيش من المؤن ودواب الحمل وتبرع آخرون بالاموال فغطت تبرعاتهم كل نفقات الحرب ولم تمسس اموال الحكومة؛ وفى الوقت نفسه ظهر المصريون بما عرفوا به من الشهامة واكرام الضيف: فحافظوا على ارواح رعايا الدولة التي كانت تحاربهم ورعايا الدول الاخرى فلم ينل احدا منهم سوء طول الحرب ورغم حجز الخديو والانجليز للنظار فى الاسكندرية سارت الامور على ما يرام واستمرت اعمال الحكومة منتظمة

دسائس الخديو والانجليز

وجعل الخديو هو وسادته الانجليز الذين اصبح محوطا بهم فى الاسكندرية يدبرون المكايد للفت فى ساعد الوطنيين ، فارسل توفيق فى منتصف يوليه الى عرابي يدعوه الى الاسكندريه للاتفاق مع الانجليز على استرداد الجيش المصرى للمدينه وكان المقصود طبعا ، القبض عليه متى ذهب ، فرد عرابي على الخديو قائلا انه مقيم مع الجيش يشرف على الدفاع الذى عهد اليه به المؤتمر الذى حضره الخديو نفسه فاعلن الخديو عصيان عرابى واسقط النظارة والف اخرى غيرها في الاسكندرية

فاجتمع فى القاهرة مؤتمر من كيار المصريين حضره شيخ الاسلام وبطريك الاقباط وحاخام اليهود فقرر عدم صلاحية توفيق لحكم البلاد بعد ان صار فى ايدي الاعداء وطلب من عرابي الاستمرار فى الدفاع

ثم شرع توفيق يبذر بذور الخيانة فى صفوف الوطنيين ببذل الرشى والوعود ويثبط هممهم بمثل ادعائه أن النصر سيكون له فى النهاية مهما امتد الصراع وان الانجليز لن يرتدوا علي اى حال وانهم انما أتوا للقضاء على العسكريين وبعدها سيرجعون من حيث اتوا ، فاستطاع ان يستميل سلطان باشا وبسعي سلطان استطاع توفيق أن يستميل نفرا من النواب فانسقوا على عرابي ولكن اغلبية النواب ظلوا مؤيدين له ، واستمال توفيق كذلك بعض الضباط الشراكسة وقليلا من الضباط المصريين والاعراب النازلين عربي القناة الذين كان الجيش المصري يستخدمهم للكشف والاستطلاع فكانت خيانة هؤلاء جميعا من العوامل الفاصلة فى الحرب

وفضلا عن هذه الخدمات التى كان توفيق يتقدم بها لاسياده راح الانجليز انفسهم يكيدون للجيش المصرى بدنئ المساعي : فبعثوا احد مستشرقيهم الملمين بالعربية وزودوه بآلاف الجنيهات لرشوة القبائل القاطنة شرقى القناة ليكونوا لهم عيونا واعوانا ولكن مبعوثهم قتله البدو فى الصحراء ،

وغرر الانجليز بالسلطان فجعلوه ينقلب علي الثورة ويعلن عصيان عرابي فى منشور وزع فى صفوف الجيش المصرى فأثر تأثيرا سيئا في روح الجند المعنوية

خرق الانجليز حياد القناة

وكل ذلك لم يطمئن الانجليز الى احراز نصر حاسم حتي اقدموا على فعلتهم الشنيعة وهي خرق حياد قناة السويس وذلك لان الحكومة الانجليزية كانت تبغي انهاء الحرب فى اقرب وقت تحسينا لمركزها امام العالم الغاضب عليها وخشية ان يرغمها الراى العام فى بلادها اذا استطال امد القتال على ان تنسحب من الحرب وتخلى بين المصريين و بين حريتهم

ولما علم العرابيون بعزم الانجليز على دخول القناة بيوارجهم رأوا ردمها في الحال ، ولكن عرابيا لما طبع عليه من حب الخير والانسانيه اصر على الا تردم القناة الااذا اقدم الانجليز فعلا على اقتحامها ، وعلى ذلك بثت الالغام واعد الرجال حول القناة استعدادا لردمها فى ليلة واحدة

ولكن فرديناند دلسبس صاحب مشروع القناة حين سمع بعزم الجيش المصرى على تدمير القناة ناشد عرابيا الا يقضى على ذلك العمل الانساني الجليل وأكد له انه يضمن حياد القناة ويحول دون دخول اى سفن حربية فيها، ومن الغريب ان عرابيا صدق دعواه وازال الالغام والرجال وترك منطقة القناة معورة، فكانت تلك غلطة حربية كبيرة مهدت للانجليز طريق الدخول الى مصر وحولت مجرى الحرب ضد المصريين وغيرت قلوب القواد والضباط على عرابى ولو كان عرابي اكثر حزما واباد القناة لظل الانجليز فى البحر طويلا لا يجدون لهم منفذا الى داخل البلاد، وكان المرجح فى تلك الحالة ان يكون الفوز فى جانب المصريين

موقعة القصاصين

لما صحت عزيمة الانجليز على غزو مصر من الجهة الشرقية تحول الجيش المصرى لصدهم فتحصن عند التل الكبير وتقدمت البوارج الانجليزية فى القناة واحتلت الاسماعيلية

فى أوائل اغسطس وسارت قواتهم قاصدة التل الكبير

فرأى العرابيون ان يباغتوهم أثناء سيرهم ويطوقوهم من ثلاث جهات ، ففاجأوا طلائعهم عند القصاصين وكانت اقل عددا من المصريين ، وحمل المصريون حملة شديدة وكاد يتم لهم النصر لولا ان قائد القلب عليا يوسف الذى كان قد افسدته رشوة توفيق ارتد وترك الميدان فوقع الخلل في صفوف المصريين وتقهقروا الى التل الكبير وعملوا على تقوية خطوطهم بها انتظارا للموقعه الفاصلة

موقعة التل الكبير

كان عدد الجنود المصريين فى التل الكبير مشاة وفرسانا ومدفعية لايتجاوز ثمانية آلاف بجانبهم مثل هذا العدد من المجندين الجدد الذين دربوا في الفترة القصيرة بين ارسال المذكرة الاولى واعلان الحرب وهؤلاء كانوا في حالة سيئة لقلة تدربهم وافتقارهم الى الاسلحة والملابس الحربية فلم ينتفع بهم الجيش الا فى حفر الخنادق ولم يكن ليعتمد عليهم فى القتال

اما الجيش الانجليزى الزاحف فلم يكن يقل عن ثلاثين الفا كاملى العدة

ففى ليلة ١٣ سبتمبر تقدم الانجليز خفية بارشاد الاعراب الى مواقع المصريين ، وكانت فرقة الفرسان بقيادة الخائن عبد الرحمن حسن فى مقدمة الجيش خارج الخطوط الدفاعية وكانت فرقة على يوسف السالف الذكر تحرس الخنادق الامامية فلم يخطرا الجيش بتقدم الانجليز بل اخليا لهم السبيل ، فلما دنى الفجر كان الجيشان وجها لوجه واخذ الجيش المصرى على غرة والغرة اكبر اسباب الهزيمة ، واستيقظ المصريون على دوى المدافع وتساقط النيران ، ففر المجندون الجدد مذعورين وثبتت الجنود النظامية وكان عرابى بعيدا عن الميدان فاسرع الى المعركه يردجموع المنهزمون ويتقدمهم الى الامام ، وصمد المصريون مدة ابلوا فيها بلاء حسنا ولاسيما المدفعية واستشهد منهم كثيرون ومن بينهم قائد المدفعيه الباسل محمد عبيد بك ، ولكن الهزيمة بانت اخيرا فى الجيش المصرى

اسرع عرابي الى القاهره ليهيء وسائل الدفاع عنها قبل وصول نبا الهزيمة اليها ولكن دسائس الخديو واذنابه واعلان السلطان كانت قد فتت في عضد الوطنيين وايأستهم من النجاح فرأوا ان المقاومة لن تجدى ، وتقدم الانجليزحتى دانوا العاصمة فقر قرار عرابي ورفاقه على التسليم ، ودخل الجيش الانجليزى القاهرة فى ١٤ سبتمبر ومحا هزيمه سنة ١٨٠٧ بانتصار سنة ١٨٨٢

محاكمة الوطنيين

وغصت السجون برجال الثورة وانصارها ، واسلم الانجليز عرابيا واصحابه الى الخديو فراح هذا يشفى حكة صدره بتعذيبهم واهانتهم فى سجونهم بينما الانجليز يعملون على تثبيت اقدامهم فى البلاد

وكان الخديو الصغير لا يرضى لعرابي واصحابه بما هو

دون القتل ، وكانت انجلترا تشاطره هذه الرغبة ولهذا اسلمتهم اليه ليشفى غليله منهم مكافاة له ، وليخليها من المسؤلية وقر راى الفريقين على ان تكون محاكمة الثائرين صورية والا يسمح لهم بالدفاع عن انفسهم ، ووجهت اليهم تهمة الثورة وتدبير مذبحة الاسكندرية وحريقها وغيرها من التهم الباطلة

غير ان الحكومة الانجليزية مالبثت ان تنبهت الى الخطأ الفاضح الذى كانت موشكة ان تقترفه ، ورات انه من الحمق محاولة ستر جريمة التدخل الحربي بجريمة اخري هى قتل الوطنيين بدعوى انهم ثوار ، وخشى غلادستون رئيس الوزارة الانجليزية على سمعته ، ولذلك عدلت الحكومة الانجليزية عن خطتها ، ورات ان تتفق مع زعماء الحركة الوطنية على ان يعترفوا بالثورة فيحكم عليهم بالاعدام ويستبدل به النفى فورا ، وبذلك اكتفت انجلترا بالباس احتلالها ثوبا شرعيا آخر شفافا وبابعاد رؤوس الثورة ليصفو لها الجو فى البلاد

واوقعت العقابات المختلفة على المئات من المصريين : فزج بعضهم فى غيابات السجون وشرد بعضهم فى الاقطار وحل الجيش والغى مجلس النواب .

Conclusion

نتائج الثورة

هكذا انكسرت تلك الحركة الوطنية ، ولم يكن سبب انكسارها الا عدوان الاستعمار البريطاني وعجز البلاد عن دفع هذا العدوان بالقوة ، وقد كان لانكسارها اوخم أثر في مصر والشرق باجمعه : فقد تاخرت نهضة مصر جيلا كاملا في عصر تسير فيه الامم الى المدنية بخطى الجبابرة ، وكانت هذه موقعة جديدة انتصر فيها الاستعمار الاوربي على الحرية الشرقيه انتصارا زاد الظافر عتوا والمغلوب تشاؤما وانخذالا

على انه لم يعد مجال لذلك الزعم القائل بان الثورة العرابية كانت شرا مستطيرا على البلاد أو انها كانت سبب الاحتلال الانجليزى : فاما تفكير الانجليز فى احتلال مصر فيرجع الى زمن الحملة الفرنسية كما تقدم، واما تمهيد السبيل لذلك الاحتلال فاذا وقع على عاتق احد فلا يقع على عاتق الثورة بل على عاتق اسماعيل الذى زعزع مركز البلاد بديونه ونبه الاستعمارية بسوء تصرفاته وبعدها لم يعد للمصريين بد من قبول

التدخل الاجنبى اما سلما واما حربا

ولو ان المصريين قبلوا التدخل السلمي ولم تقم الثورة لما كان ذلك التدخل اسر عاقبة ولا اخف وطاه من الاحتلال الانجليزى بل لوقعت البلاد فريسة للمطامع المتضاربة وانتهبت حقوقها وديست مصالح اهليها

اما جهاد المصريين ففضلا عن كونه واجبا عليهم وفضلا عما فيه من معانى الرجولة والوطنيه قد اظهر للاوربيين ان المصريين « شعب حى مهما قيل عن تعوده الخضوع منذ اجيال » كما قال فريسنيه وارغم الانجليز على اصلاح الاحوال الفاسدة التى قامت الثورة لاصلاحها وتحقيق المشروعات التى بدات النظارات الدستورية فى تنفيذها ، كما ارغمهم على اعلان ان احتلالهم مؤقت وابقي هذا الاحتلال دائما غير ذى صفة شرعية حتى تاتي لابناء الجيل التالى ان يقوموا مطالبين بحقوقهم كاملة غير منقوصه

ثم ان هذه الثورة جمعت كلمة المصريين واكسبت الراي العام متانة وصلابة واعادت للبلاد تلك الاراده الوطنيه

التي كانت تعوزها منذ قرون والتي لن يتأتى معها الدولة غاصبة اية كانت ان تفرض على البلاد سيطرتها

وكانت اول خطوة فى هذا السبيل - سبيل تحرير البلاد ونفض غبار قرون الاستبداد عنها - قضاء الثورة على الطبقة الشركية التى استبدت بالبلاد قرونا ثم سلبها محمد على السلطة العليا ولكنها ظلت تستأثر باكبر مناصب الحكومة والجيش وتعيث فى البلاد امرا ونهيا

هذه حسنات الثورة رغم تصدى الاستعمار البريطاني لها وتغلبه عليها ، وكم من نتائج باهرة كانت تعود بها على مصر هذه الثورة بل هذه اليقظة المصرية لو لم تبطش بها يد الاستعمار